

تنزيه الدين وحملته ورجال مما افتراه القصص في اغلاله

تأليف العلامة المفضل

الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن سعد

علامة القصص حفظه الله آمين

طبع على نفقة

محمد نصيف بجده - الحجاز

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله حمدته ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا
وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله
إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم
تسليماً كثيراً .

(أما بعد) فإني قد وقعت على كتاب صنفه عبد الله بن علي القصيمي سماء (هاذي
هي الأغلال) فإذا هو محتو على نبذ الدين والدعاية إلى نبذه والانحلال عنه من كل
وجه وكان هذا الرجل قبل كتابته وإظهاره لهذا الكتاب معروفاً بالعلم والانحياز
لمذهب السلف الصالح وكانت تصانيفه السابقة مشحونة بنصر الحق والرد على المبتدعين
والملاحدين فصار له بذلك عند الناس مقام وسمعة حسنة فلم يزعج الناس في هذا العام
حتى فاجأهم بما في هذا الكتاب الذي نسخ به وأبطل جميع ما كتبه عن الدين سابقاً
وبعد ما كان في كتبه السابقة معدوداً من أنصار الحق ، انقلب في كتابه هذا من
أعظم المنابذين له ، فاستغرب الناس منه هذه المفاجأة الغريبة لسوابقه ولسنا بصدد
التعرض للأسباب التي دعت له لكتابة هذا الكتاب ، وكثير من الناس يظنون به
الظنون التي تدل عليها القرائن وليست بعيدة من الصواب لظن بعضهم أنه ارتشى من
بعض جهات الدعاية الأجنبية للأدينية ، ولكن لما كتب هذا الكتاب وطبعه
ونشره بين الناس وجعله دعاية بليغة لتبذ دين الإسلام ، بله غيره من الديانات والمبادئ
الخالقية فكان هذا أكبر عداء ومهاجمة للدين وجب على كل من عنده علم أن يبين
ما يحتوي عليه كتابه من العظام خشيعة اغترار من ليس له بصيرة بكلامه حيث كان

معروفاً قبل ذلك من علماء المسلمين ولم يدرك ما طرأ عليه من الانقلاب واننا نعلم أن الذين يقرؤون كتابه ويقفون عليه ثلاثة أقسام :

(القسم الأول) من له بصيرة ومعرفة وتفريق بين الحق والباطل ومعرفة بحقيقة الدين ، فهذا لا يحتاج إلى التنبيه بل مجرد وقوفه على كلامه وفهمه يكفيه معرفة ببطالانه وفساده لأن هذا القسم من الناس لا تفهم الألفاظ المزخرفة ولا الاستدلالات المزورة المبهجة .

(القسم الثاني) من وقف على كتبه السابقة ، ثم على كتابه هذا ورأى ما فيها من الاضطراب والتناقض والتضارب وعدم الاستقرار على قول ورأى واحد ، يقول القول اليوم فيهدمه بالغد ويبنى ما هدمه ويهدم ما بناه ، فينأى عن يدعى أنه ينصر الدين ويغار على المسلمين إذ تراه ملحقاً في هدم أصول الدين وقواعده حاملاً على حملته متهماً بالعلماء والمرشدين مؤسكاً لهم من الرقي في الحياة ما داموا متمسكين بدين الإسلام . وبينما تراه يحط على أئمة الدين ومصابيح الدجى إذ يصب الثناء والمدح على أئمة الكفر وزنادقة الملاحدة ويعظمهم غاية التعظيم ، وبينما تراه يذم القديم ويبحث على رفضه ومراده ما جاء به الدين علوماً وأخلاقاً وأعمالاً ويبحث على الأخذ بكل جديد إذ تراه متناقضاً يبحث على اتباع المنحرفين كأرسطو وأفلاطون والفارابي وابن سينا ونحوهم من المتقدمين والمتأخرين إلى غير ذلك من مناقضاته التي توجب للناس فيها أن يهدروا كلامه ويسقطوه من الاعتبار ولو لم يكن من أهل العلم والإبصار .

وأما (القسم الثالث) الذين لا بصيرة لهم يعززون بها بين الحق والباطل ولا وقفاً على تناقضه وعدم استقراره على رأى واحد فإنهم يخشى عليهم من الاعتراض بكلامه لأنهم يسمعون عبارات مزخرفة واستدلالات مموهة لأنه يردد المعنى الضئيل بمصادر كثيرة وأساليب متنوعة ونحن لا ننكر ما في كلامه وكتابته من المعاني الصحيحة المطروقة

التي لم يزل أهل العلم يقولونها ويبدونها من الخث على تعلم العلوم وفنون الصنائع الخاصة
وما فيه من ذم الجهل وآثاره الصارة وما فيه من تأخر المسلمين في الفنون العصرية
وما فيه من وصف تفوق غيرهم في فنون المادة، فقد ذكر أهل العلم من هذه الأمور
أكثر مما ذكر هذا الرجل ولم يبين ما بينوه ولا شريح الداء الذي أصاب المسلمين
حقيقة ولا كيفية الدواء .

والقصود أن ما في كتابه من الحقائق لم يكن أول من قالها بل لم يزل أهل المعرفة
يقولون ما هو أعم منها وإنما المنكر القطيع والطائفة السكبري تروجه بهذه الأمور على
من لم يعرف الحقائق وجعلها له كالأساس الذي يحمل منه على الدين وأهله الجملات
المنكرة المتكررة .

مقدمة ونظرة إجمالية

في محتويات ومواضيع هذا الكتاب

من نظر فيه وتأمله بحق تأمله عرف أنه ما كتب أشد وطأة وأعظم عداوة ومحاربة للدين الإسلامي ومنفراً منه وأنه ما اجترأ أحد من الأجانب وغيرهم بمثل ما اجترأ عليه هذا الرجل ولا افترى مفتر على الدين كافترائه ولا حرف أحد له نظير تحريفاته، وما صرح أحد بالوقاحة والاستهزاء والسخرية بالدين وأصوله وتعاليمه وأخلاقه وآدابه وحملته كاستهزائه وسخريته فإنه اشتمل على نبذ الدين ومنابدته ومناقضته ثلاثة لا تبقى من الشر شيئاً إلا تضمنته فإنه صريح في الانحلال عن الدين بالكلية وخروج تام عن عقائده وأصوله فضلاً عن فروعه وهو أكبر دعاية للإلحاد . ومقاومة للدين وأهله وفيه من البهجة والتزويرات التي جعلها في صورة نصر الدين ما يعد من أعظم النفاق والكيد والمكر للإسلام وأهله (ولا يحيق المكر السي إلا بأهله) .

وجملة ذلك أنه تلقى عن جميع أعداء الدين ما وجهوه إلى الدين وإلى أهله من جميع ألوان الشبه التي تدعو إلى الكفر والتكذيب بالدين وزاد عليهم زيادات واستدراك أموراً لم يصلوا إليها فإن النافين للبارئ الجاحدين له كزنادقة الدهرية وفرعون وأشباعه الذين صرحوا ببحمد رب العالمين بالكلية وتكذيب رسله جهراً وعلناً ثم أظهره زنادقة الاتحاديين بأسلوب آخر وهو أن الوجود كله واجبه وممكنه واحداً لعين فلا ثم رب ولا مربوب ولا خالق ولا مخلوق الجميع شيء واحد، ثم أظهره هذا الكاتب صاحب كتاب الأغلال بأسلوب أشنع من ذلك كله حيث زعم أنه لا فرق بين الخالق والمخلوق وأن من فرق بينهما من الأنبياء والرسل وأهل الأديان فهو غلط ضال عنده . أعداء الرسول تنوعوا في تكذيبه فقالوا ساحر وشاعر وقالوا مفتر كذاب . وزنادقة الفلاسفة قالوا إن الرسل

كذبوا لمصلحة الناس وخيلوا للناس تخيلات خالية من الحقائق . وهذا صاحب الأغلال جاء بوجه آخر حيث حلل زعمه حياة النبي صلى الله عليه وسلم ذلك التحليل الخبيث الباطل بأنه يتخلو بالطبيعة ويناجيها وتأخذ بلبه وعقله ويظل ليله ونهاره نازعا إليها وقد افتتح بها رسالة الله بخلوته بها ومناجاتها في غار حراء وختمها به حيث كان ينزع إليها وهو في سياق الموت ، ويقول في الرقيق الأعلى فهذا التحليل الخبيث الذي لا يروج على الصبيان قد أخذه بعينه من دعاة النصارى ومضلايهم إذ قالوا هذا القول الذي هو التكذيب المحض فعند صاحب الأغلال ليس ثم وحى ولا مناجاة لله ولا نزول جبريل بالوحى من عند الله وإنما ذلك خيال لاحقيقة فظن بجهله أنه بهذا الكلام الموء يسم من الشناعة .

أعداء الرسل من الدهريين قالوا : (ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر) وهذا القصيمى يقول : ما هي إلا الطبيعة تتفاعل وتتطور وتدير أمر العالم وتديره وتنظم الأمور الجليلة والدقيقة وأنكر قضاء الله وقدره ورجع ذلك إلى العلم بانتظام الطبيعة وهذا إنكار منه لله ولأفعاله وصفاته . وكما أنكر توحيد الربوبية فقد أنكر توحيد الإلهية والعبادة ولم يرتض بما قاله المشركون بل أنكر عبادة الله بالسكينة وأنكر الافتقار إليه وتهكم بالمفتقرين إلى ربهم الداعين لله المخلصين لربهم وملا كتابه من السخرية بهم ، وكما أنكر الربوبية والإلهية والرسالة إذ فسر بها بذلك التفسير الخبيث الذى يرجع إلى نفي الرسالة فقد أنكر عقوبات الله ومثوباته الدنيوية والأخروية وأنكر أسبابها وسخر بالمؤمنين بها . وكذلك رمى جميع طبقات الأمة وخص منهم العلماء الأعلام وهداة الأنام بضعف العلم والعقل والرأى وأوجب الكفر بهم وبملومهم وبما قالوه وصنفوه من كتب الحديث والتفسير والفقه والأصول والفروع وجعلهم مجرمين يستحقون العقوبة وأهدر فضايلهم بالسكينة ، وأكبر من ذلك وأطم أنه باهت وصرح بتحقير الأنبياء تحقيراً لم يصل إليه ملحد إذ صرح بأن جميع الرسل

والأنبياء والهداة من أتباعهم لم يتفقهوا الناس في الحياة بشيء من النفع ولم يقدروا أن يصيروا فيها مخلوقات متألقة لهم فضائل يهتدى بها وكارمى الأنبياء وأهل الأديان الصحيحة كلهم ولم يستثن منهم أحداً فإنه عظم زادقة الملحين الأولين منهم والآخريين وأوجب الأخذ عنهم والخدوع على منوالهم، وحم نبذ القديم الذى فى مقدمته السكينة والسنة وما عليه الصحابة والتابعون وأوجب أن تتخذ ثقافة جديدة إلحادية ينبذ فيها الدين الصحيح ويكفر به ويحمله ويعتقد أن الصحابة فى طور الأطفال أو طور قريب من طور الحيوانات السذج وأنهم لا يعلمون الأمور على حقيقتها وإنما يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا. وإنما العلم والفضل منحصر عنده فى الأجانب الأفرنج. وسلك مسلك الإباحين فى التهلك والإباحة وكذب ما جاء فى الكتب وعلى السنة الرسل من قصة آدم وزوجه وذريته فزعم أن الإنسان الأول مخلوق شبيه بالحيوان لا يقدر على النطق ولا التخاطب بوجه من الوجوه، ثم انتقل إلى طور الإشارات فى مدد طويلة ثم بعد مدد طويلة جداً تدرج شيئاً فشيئاً حتى انتقل إلى طور التخاطب بالألفاظ المهمة الساذجة. وكذب ما جاءت به الرسل أن الله علم آدم الأسماء كلها وأسجد له ملائكته. واتبع سفهاء الخرافيين وكذب جميع النصوص من الكتاب والسنة الواردة فى الترهيد فى الدنيا والترغيب فى الآخرة وفى فضل الصبر على المصائب وثواب أهلها واستهزاء بها وبأهلها وملاً كتابه من السخریات والاستهزاءات وكل هذه الحقائق وما هو أكثر منها قد تضمنها كتابه المذكور كما سنشير إليها مفصلة مشاراً إلى صفحاتها من كتابه المذكور.

فصل

ولما كان هذا الكتاب موجهاً إلى قلب الدين وروحه وإلى هدم علومه وأصوله وقواعده وجميع مقوماته، وكان هذا الدين العظيم بذاته وحقيقته واشتماله على أعظم الحقائق وأجلها وأرفعها وعلى المبراهين الساطعة والأنوار الثلاثة يدفع ويبطل كل ما يقوم في وجهه من الشبهات ويقاوم من الأحوال الباطلة ألحبت أن أشير إشارة لطيفة قبل إبطال قول هذا الكتاب إلى بعض محاسن هذا الدين وأنه لا سبيل لأحد من الخلق أن يبطل شيئاً من أصوله وقواعده وأساسه، وأن بهذا الدين العظيم تزول السموات والأرض والجبال وأصوله وأسمائات وقواعده ثابتات وأبوابه مشرقة وبراهينه للبطل محركة، فهو الميزان الأعظم الذي توزن به الأمور الدينية والأمور العقلية والأمور الدنيوية، وأين عند ذلك منافاتها لقول هذا الكتاب . وهذا الرجل لا بد قد شعر أن الناس لا يشكون ولا يعترضون في منافاة كتابه وأقواله للدين ففراه في مطاوي كتابه يعتذر ويدعى أنه مؤمن بالله ورسوله وبريء من الإلحاد . أفيظن أن الناس يقيمون لاعتذاره وزناً، وكيف تقع اعتذاراته الطفيفة التافهة في جانب حلالته الشديدة على الدين والحث البليغ على نيته وعلى سلوك طريق الملاحدين . كيف يقبل اعتذار من هو بمجد مجتهد في هذه المواضيع الغريبة الباطلة فهل هذا إلا من باب السخرية والتمويه على الأغرار، ونحن نكتب ما يجب علينا كتابته من رد اعتدائه على الدين والتنبيه على بطلانها كما هو الواجب التمعن على كل مسلم، ونرجو الله أن يعيده إلى الحق بالقوبة والتوصل ونقض ما كتبه واجترأ عليه . (واعلم) أن مدار ما يبي عليه بحجته الباطلة واحتج لها وبرهن عليها ورضيها أمران (أحدهما) أن المسلمين في هذه الأوقات الأخيرة متأخرون عن العلوم في الفنون المصرية والاختراعات والصناعات الراقية وعلوم الطبيعة بأنواعها . (والثاني) أن غيرهم مبر في هذه الأمور مهارة لا تتصورها الأفكار، ثم يبي على هذين

الأمرين جميع بحوثه الباطلة ورتب على ذلك أنه يجب رفض ما عليه المسلمون من عقائد وأخلاق وعلوم وأعمال ، وقرر في كتابه أن الدين الإسلامي أغلال وقيود تقيد الإنسانية عن التقدم والارتقاء في درج الكمال، وفي مقابلة ذلك حث ورحب بكل ما أتى به الآخرون من مفلسد وعقائد وأخلاق وأعمال وخير وشر وقرر أن هذا هو الرشيد والفلاح وبدء النجاح . وكتابه كله يدور على هذا الأصل الذي يعرف كل من له أدنى بصيرة أنه بنيان على شفا جرف هار وأن أقل نظر يوجه إليه وأقل برهان يقابله يبطله وأن هذا الاستدلال هو بالترهات والبهرجات أولى منه بالحقائق الثابتة ؛ فإذا تبين بطلان أصله الذي بنى عليه جميع بحوث كتابه بطل كل ما بنى عليه ، فنشير هنا إلى هذا ثم نتبع ما اشتمل عليه كتابه من المواضيع الفاسدة (فنقول) : الدين الإسلامي هو دين العدل والرحمة والعلم والحكمة وهو دين المدنية الزاهرة المبنية على صلاح القلوب والأرواح وصلاح الدين والدنيا ، وعلى السعى إلى الكمال والرق في معارج السعادة والفلاح وهو الدين الذي حث على كل خير ونفع وصلاح وإصلاح وهو الدين الذي ساوى بين طبقات الخلق في القيام بالعدل والحقوق فلم يبيح الظلم بوجه من الوجوه فالغنى والفقر والشريف والوضيع والقوى والضعيف والعزیز والدليل كلهم عنده سواء قد شملهم عدله ورحمته وهو الدين الذي يحث على القيام بما خلق الله الخلق لأجله وهو عبادة الله وحده والالابة إليه والتعبد له ظاهراً وباطناً ودوام الافتقار إليه ، وهو الدين الذي يأمر بجميع معالى الأخلاق ومحاسنها وينهى عن جميع مساوئها وأراذلها ، وهو الدين الذي تصلح به الأحوال فكما حث على القيام بإصلاح الدين فقد حث على القيام بمصالح الدنيا النافعة وكما أمر بتعلم العلوم والفنون التي ترجع إلى الالابة إلى الله وعبوديته فقد حث على تعلم العلوم والفنون التي تعين على قيام حياة الأمة وإصلاح أحوالها واستعدادها لمقاومة الأمم الأخرى ومغالبتها والوقاية من شرورها وأضرارها ، وكما أمر بتعلم علوم التوحيد والعقائد والأخلاق التي ترجع إلى صلاح القلوب والأرواح فقد أمر

بالعلم والتفقه في الأحكام التي ترجع إلى القيام بالعبادات الظاهرة والعاملة بالمادة والقيام بجميع الحقوق المتنوعة على وجه الوفاء والميل وموافقة الحكمة وكذلك أمر بتعلم الفنون الحربية والآداب العسكرية ، والاستعدادات السياسية والصناعات الفاعلة فقال : (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) وهذا شامل لكل ما يتعلق بالاستطاعة من أنواع العلوم والفنون العسكرية الموجودة في وقت التنزيل والتي تحدث إلى يوم القيامة من قوة عقلية وسياسية داخلية وخارجية وصناعات نافعة وتعلم رعي وركوب وسائر الفنون التي لا تتم مقاومة الأعداء إلا بها ، وقال : (يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم) فأمر المؤمنين بأخذ حذرهم من عدوهم وهو التوقي والوقاية والاحتياط من عدوان الأعداء بكل وسيلة وسبب تحصل به الوقاية من شرهم ومكائدهم وأسلحتهم ومدخلهم ومخارجهم وذلك يختلف باختلاف الأحوال والأزمان . وكل آية أو حديث فيه الأمر بالجهاد والحث عليه فإنه يدخل فيه القيام بجميع الشؤون التي تعين على الجهاد ويختلف ذلك باختلاف الأحوال والأزمنة والأمكنة وهذا من البراهين على أن هذا الدين والشرعة تنزيل من حكيم حميد عليم بكل شيء فإن إرشاداته المالية كما ترى تصلح لكل زمان ومحل بل لا تصلح الأمور إلا بها ، وكأنه أمر بالاستعداد بالقوة المادية فقد أمر بالاستعداد بالقوة المنيوية حيث أمر الناس وحهم على الاجتماع والالفة بين المسلمين والاتفاق على جميع مصالحهم الكلية كما أمر بذلك في المصالح الجزئية في كل ما يأتون وما يذرون في أحوالهم الداخلية وأحوالهم الخارجية ، وأمرهم بالإيمان الكامل والتوكل القوي على الله وتمرن النفوس على القوة والشجاعة والتدرب في كل أمر يقع في الدين والدنيا ؛ فالدين يحثهم على القيام بجميع الأسباب النافعة التي تصل إليها أقوام واستطاعتهم وعلى التوكل على تسبب الأسباب وخالقها ومدبرها ، وبين لهم أن الأمرين متلازمان لا يقوم أحدهما إلا بالآخر فالأسباب وإن عظمت وقويت فإنها محكومة بقضاء الله وقدره ولا هم للقائم بهنأ أمره

من كل وجه إلا بتوكله واعتماده على الله تعالى مسبها ومصرفها والقابض على ناصيتها وأزمته، ويخبركم الدين مع ذلك أن التوكل وحده بدون فعل الأسباب وبدون القيام بالمقدور من الشئون الدينية والدنيوية ليس بتوكل حقيق بل هو ضعف وعجز ، فكلما قوى توكل المسلمين على ربهم قوى أعمالهم النافعة وقويت همهم ، وانبعثت عزائمهم إلى جميع مصالحهم ، والرب تعالى لقيامهم بالأمرين وتحقيقهم للتوكل عليه واجتهادهم في فعل الأسباب يعينهم ويسر لهم أمورهم ويحقق لهم رجاءهم وينزل عليهم من نصره ومعونته وتأيدته بحسب قيامهم بالأمرين. والنصوص من الكتاب والسنة تحت على الأمر بالتوكل على الله في كل الأمور ، والأوامر بالأخذ بجميع الأسباب النافعة لا تنحصر بل الدين كله قيام بالأسباب وتوكل على مسبها ومصرفها ، وهذا الذي نهينا عليه من الدين الإسلامي هو من الكمال الذي لا يقاربه كمال ، ويسقط به ويضمحل قول هذا الكاتب الذي يقول إن الإيمان بقضاء الله وقدره والتوكل على الله يوهن المسلمين ويضعفهم وأنه يجب عليهم ترك ذلك وأن التوكل على الله هو العلم بنظام الطبيعة ، وكذلك الإيمان بالقضاء والقدر كما صرح بذلك في صفحات (١٧) و (٢٩) و (٢٦٨) و (٣١٥) من كتابه ، ويتضح بذلك أن المسلمين حقيقة انتبهيين لإرشادات دينهم وتعاليمهم المتوكلون على الله حقيقة وأنهم أقوى الخلق على فعل الأسباب امتثالاً لأمر ربهم وطلباً لمصالحهم واستمداداً من قوته وارتقاباً لثوابه ، وأن الدين الإسلامي يبطل الطريقتين الذميتين : طريق العجز والضعف الذي يتعلل صاحبه أنه متوكل على الله وإنما هو مهين ساقط الهمة معتذر بما لا يعذر به ، وطريق الماحدين المعطلين الذين يعتمدون على الأسباب ويرونها مستقلة منقطعة عن قضاء الله وقدره ، وأن الله لا يتصرف في الأسباب عندهم بإيجاد ولا تقوية ولا إضعاف ولا بتمتعها ولا له قدرة على معارضتها كما قرره صاحب هذا الكتاب في ثانيا كتابه خصوصاً في الفصل الأخير المعنون بمشكلة لم تحل ، وهذا هو تعطيل المحقق والنفي لربوبية الله ولأفعاله ، وهو في الحقيقة مذهب الدهريين الطبايعيين الجاحدين لله

بالكلية، وقد سلك أيضاً مسلك الدهريين في هذا الذين يقولون ما هي إلا حياتنا الدنيا
نموت ونحيى، المنكرين للثواب والعقاب حيث أنكر أن الإيمان والتقوى والعمل الصالح
سبب للثواب العاجل والآجل وأن الكفر والفسوق والعصيان أسباب للعقوبات العاجلة
والآجلة ، وتهكم بذلك وإقائلين به المعتقدين له كما صرح به وردده في الصفحات
(٣٥) و (١٦٥) و (١٧٨) و (٣١٥) و (٣١٩) و (٣٢٥) والسبب الوحيد عنده في
المصائب الدنيوية وضدها إنما هي الأسباب المادية فقط وعمل الطبيعة. ثم لم يزل يقرر
هذا الأصل الخبيث حتى زعم أن الإيمان بالله وباليوم الآخر يمنع الرقى ويمنع كون العبد
سبباً لثواب عظيم أو عقاب عظيم وأنه غل ورباط يمنع من الخير والصلاح وأن الأديان السماوية
أكبر المصائب على البشر. وقول وصل إلى هذا الحد ليس بعده تقدم إلى الكفر وإنما
هو النهاية في الكفر والتعطيل والجحود لرب العالمين والخروج من الديانات السماوية
كلها وهو غاية الخروج من العقل والحس، فإن قضية الإيمان بالله ورسوله هي أكبر
القضايا وأعظمها وأوضحها وأجلها براهين وأدلة وإثبات أنه هو الفعال لما يريد الخالق
لكل شيء الذي يدبر الأمور كلها ويكرم الطائمين ويعاقب العاصين فلا ينكر ذلك
إلا مكابر مباهت منحل من العقل الحقيقي بعد انحلاله من الدين ، والمقصود أن صاحب
الدين الصحيح هو أقوى الناس توكلًا على الله تعالى وعملًا بالأسباب النافعة لأنه يعلم
أن دينه يحثه على ذلك وقد استصحب التوكل على الله والثقة به وأن الله لا بد أن يتم
أمره وخصوصاً الأسباب الدنيوية والأسباب المعينة على الدين فأنها من الدين في الحقيقة
لأن الدين هو جميع ما دل عليه الكتاب والسنة مطابقة والتزاماً وتضمناً ، فهذا الدين
لم يدع خيراً إلا دعا إليه ولا منفعة إلا سبغ عليها ولا طريقاً يوصل إلى إصلاح الأحوال
الدنيوية والدنيوية النافعة إلا رغب فيه ، ولا مفسدة وشرراً إلا حذر منه ، وأمر
بالتخذ الوسائل الواقية والدافعة، فياومح هذا الكاتب القسيمي الذي زعم هذا الزعم
الباطل أنه مانع من التقدم والرق ومجاعة الأمم الراقية في الحياة . وهل رقت هذه الأمم

وسبقت غيرها في الاختراعات والفنون الصناعية المدهشة إلا بعد ما أدخلت عليها تعليمات هذا الدين^(١) واقتبسوا أصل هذه الصناعات من المسلمين بعد الحروب الصليبية وغيرها . ألم يكونوا في غابر الزمان والقرون التي يسمونها القرون المظلمة في غاية الجهل والوحشية والهمجية في معرفة هذه الفنون والصناعات . ألم يكن المسلمون وقت قيامهم الحقيق بهذا الدين هم سادات الخلق الذين قهروا بفضل دينهم وأخلاقه وتعاليمه العالية جميع الأمم وحطموها وأفنوا صروح أكبر دول الأرض يومئذ . ألم تكن مدينة الدين الإسلامي هي المدينة الزاهرة الحقيقية حيث كان روحها الدين والعدل والرحمة والحكمة . وقد شملت بظلمها الظليل وإحسانها المتدفق الموافق والمخالف والمدى والمضييق . ألم يتركهم دينهم ومنعمهم الرقي الحقيق ؟ ، وهل نفع الآخرين كفرهم بالله وبربوبيته وإلهيته في تلك القرون الطويلة إذ كانوا هم الأذلين الخذولين في مواقف الحياة كما زعم هذا الكاتب الذي يهرج على من لا يعرف الحقائق . ثم لما ترك المسلمون الاستمساك بتعاليم دينهم وتفرقوا شيعاً ، وارتقى الأجانب في علوم النجارة وفنون الصناعات والاختراعات ووصلوا إلى أمر لم يسبق له مثيل فهل أغتت عنهم هذه المدينة وهذا الرقي ، وهل وقتهم الشورور إذ كانت مدنيته مبنية على الظلم والجشع والطمع المفرط وطلب استعباد الخلق ولم يكن معها من روح الدين ورحمته شيء . فهل ردت عنهم هذه الملاحم والمجاذم

(١) يريد الشيخ حرية الفكر وعدم التقليد، والخروج على سلطة الظلم الكنسية والزمنية وحرية البحث، إلى ما استفادوه من المسلمين أيام الحروب الصليبية وبعدها ، وكذلك في أيام الأندلس الزاهرة .

قال فلاسفة الفلك الأمريكي : قد استولت الكنيسة ستة قرون فلم تنجب فلكياً واحداً ، وقد أنجب الإسلام في قرنين الكثير من علماء الفلك والطب والطبيعة والكيمياء . نقله الأستاذ الإمام في رسالته : « الإسلام والنصرانية مع العلم والمدينة . »

البشرية والاهلاك والتدمير الذي لم يسبق له نظير ولا مقارب في تاريخ الخليقة . وهذا من أكبر البراهين على أن الرق في هذه الحياة إذا خلا عن الدين الحق صار ضرره أكبر من نفعه وشره أكثر من خيره إذا كان فيه خير كما زعمه هذا الكاتب . فلو كانت هذه الأمم الراقية في الفنون المصرية معهم من صحيح وبنوا حضارتهم على الرحمة والعدل والحق والتسوية بين الخلق وبين الأمم القوية والأمم الضعيفة في الحقوق فما ظنك أن تصل بهم هذه الحضارة وما ظنك بما ينكف بها من الشرور العظيمة التي جرت وهي جارية وستجري ما داموا على حالهم .

أما تأخر المسلمين الآن في الفنون المصرية والاختراعات والصناعات وأشباهاها فليس هذا التأخر منسوباً إلى دينهم ، فليس في دين الإسلام أصل من الأصول أو فرع من الفروع يوجب على أهله التأخر بوجه من الوجوه ، وإنما الأمر بالتعكس كما تقدم التنبؤ عليه بأن الدين الإسلامي قد جمع بين المصالح الدينية والدنيوية وحث على جميع المنافع وعلى الأعمال النافعة والعلوم النافعة عكس ما رماه به هذا الكاتب من الجور والتأخر ومناقاة الحضارة والتقدم وخدمة الحياة بزعمه ، وإنما السبب الوحيد الذي أخرهم في هذه الفنون هو ترك الاستمسك بروح الدين ومقوماته وترك الأخذ بما يحث عليه من الاجتماع والائتلاف واتفاق الكلمة ، والتشاور في الأمور كلها ، وترك الأغراض الشخصية للمصالح الكلية ، وتركهم الجهاد القولي والبدني والمالي وهو مقاومة الأعداء بكل وسيلة تناسب الزمان والمكان بحسب الاستطاعة . فالدين يحث على الأخذ التام بهذه الأمور التي لا قوام للأمم بدونها وهم كسلوا وغفلوا عنها علماء وعملا وأهلوا مصالحهم ومالوا إلى الترف والدعة والرضوخ والاستعلاء لا لطلب فلاحهم الأجنب بهذه الحالة المؤلمة لعبت بهم سياسياتهم وفككتهم وفرقتهم زيادة على ما اتصفوا به من التنافر والاختلاف ، وعلى ما زهدوا فيه من الجهاد ومقاومة الأعداء ، واستعبدوا بكل حيلة وحلوا مغنوتهم وروحهم الدينية وصاروا يضربون بعضهم ببعض ويقيمون لهم من جثثهم ومن بني

قومهم ممن يسمى بالإسلام من يقيم الدعايات الباطلة في تزويدهم من هذه الحال الحرجة
ومن يفت في أعضادهم ويخذز أعصابهم ويسعى بكل مقدوره في تأسيسهم من التقدم
وفي إماتة همهم كما ترى هذا الكاتب الذي توسل باسم الدين والغيرة على المسلمين ،
وسعى في نبذ الدين ومحاربه به هذه الطريقة التي أربت على طرق المنافقين . وزعم من
بهرجته التي لا تروج على أحد أن المسلمين على اختلاف طبقاتهم من الصحابة والتابعين
والقرون المفضلة وأصناف المحدثين والمفسرين والفقهاء والأصوليين وسائر طبقات الأمة
كلهم زعم أنهم لم يفهموا الدين وأنه مستحيل أن يسعوا في مصالحهم ، وغير ممكن لهم
ذلك إلا بنبذه وأنه قيود تمنع التقدم كما صرح بذلك في صفحات (١٧) و (٣٦) و (٦٨)
و (٦٧) و (٩٧) و (١٤٠) و (٣١٥) من كتابه ، وهذه دسيسة
خبيثة ، فإن كل أحد عنده أدنى تمييز يعلم حق العلم أن هذه المباحث التي اشتمل عليها
كتابه منافية للدين بالكلية ومناقضة له من كل وجه ولكنه جاء بهذه الوسيلة ليقول
المفترون ليس دين الإسلام ما فهمه المسلمون والأئمة والعلماء على اختلاف طبقاتهم وإنما
هو شيء آخر مجهول عندهم ، وقد علمه هذا الكاتب وهو ما أراده وسعى إليه من مناقضة
دين الملحين ورفض دين المسلمين وسائر المرسلين .

ثم ان هذا الكاتب لم يكفه أن يقدر في هؤلاء المتأخرين من المسلمين بل وصلت
به الحال إلى أن قدح في خير القرون وهم الصحابة والتابعون لهم بإحسان وأئمة الدين
والهدى حيث زعم أنهم لم يفهموا من دينهم وكتاب ربهم وسنة نبيهم إلا ظاهراً من
الحياة الدنيا وأن معارفهم وعلومهم النافعة كلها بالنسبة إلى معارف المتأخرين من
الملحين كنسبة معارف الأطفال إلى العقلاء الراشدين أو أقل من ذلك ، وحث غاية
الحث على رفض مقالة هذه القرون المفضلة ، وأنه يجب تعليم الناس الكفر بهؤلاء
الأئمة وبمعارفهم وفضائلهم وما قالوه وعملوه أو ورثوه ، وتهكم بمن يدعو إلى الأخذ بما
أخذ به الأولون وملاً كتابه من هذه المواضع الخبيثة والوقاحة والجراعة التي لم يرتكبها

غيره كما صرح به في صفحات (١٤) و (١٦) و (٢٩) و (٦١) و (٦٤) و (٦٦) و (٦٧) و (٦٩) و (٧٠) و (٨٥) و (١٢٠) و (١٤٠) و (١٧٠) و (٢٩٣) و (٢٩٦) و (٢٩٨) و (٣٠٢) و (٣٠٣) و (٣٠٨) و (٣١١) و (٣١٥) فياوضحه ما أخصر سمعته وأقل حياءه وهل يشك أحد أو يرتاب مسلم أو منصف ولو كان من غير المسلمين أنه لم يوجد ولن يوجد أحداً كل علماء وفضلاء وأخلاقاً وعدلاً ورشداً وعقلاً وكالاً في كل الخصال العالية من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وأنه ما وصل لأحد غيرهم خير وفضل وعلم إلا على أيديهم. وقد كذب في كتابه هذا ما كتبه عنهم في كتبه السابقة، وقد شملت الأعم الأجنحة بكمال فضلهم وشمول رحمتهم وعدلهم. قال جوستاف لوبون فيلسوف فرنسا الشهير: ما عرف التاريخ فاتحاً أعدل ولا أرحم من العرب. وكانوا إذا فتحوا البلدان وجرت عليها أحكامهم العادلة وشفقتهم على بني الإنسان امتلأت قلوب الأجانب من محبتهم وتمنوا دوام ملكهم وسلطانهم واختاروهم على قومهم وأهل دينهم مع أن النفوس مجبولة على التعصب لما ألفت من الأديان والأوطان والأنساب والمذاهب. فلو لا أنهم رأوا من رحمتهم وعدلهم ما لم يشاهدوا له نظيراً لم يخضعوا كل هذا الخضوع ويمطوا ما بأيديهم مدعنين راغبين غير مقهورين على إرادتهم، فأنهم يجدون الفرض الكثيرة لحدوث الثورات، ولكن الرحمة والعبدل من المسلمين أوجباً لهم السكون والطمأنينة لظل هذا الدين القويم. وهذا الكاتب يعلم حق العلم أنه كذب نفسه بنفسه وأنه ناقض في كتابه هذا ما كتبه في كتبه السابقة، ولهذا جعل يندب نفسه ويندم من شجر وينوح على زمانه الماضي وكيف قضاه في عبادة الله ومتعلقاتها لأنه لا يحيل أن الناس يعرفون منه هذه الحالة، ولهذا كان الكلام معه في هذا الكتاب لا يشبه الكلام مع البتدعين من المسلمين الذين يعظمون الدين ويؤمنون بالله ورسوله، وإنما يتكلم معه كما يتكلم مع الأجانب عن الدين والكافرين به وينظر كما ينظرون لأنه في كتابه هذا كشف النظام وصرح بالمظالم الكبرى النافية للدين الإسلام الملكية.

ثم إن هذا الكاتب يزعم أن تلك القرون المفضلة التي لم يشاهد الناس لها مثيلاً في
الجلال والجمال والكمال لم تبلغ رشدها بل هم في طور الطفولة ، وعنده أن الرشد
والكمال الفضل منحصر في الماديين من الملحدين كما صرح به في تلك الصحائف
آفة الذكر. والسبب الذي أدام إلى هذه المقالات الجائرة المنحرفة أن الفضل منحصر في
في شيء واحد وهو عبادة الطبيعة ووجوب إعطائها القلب والقالب والظاهر والباطن ،
والانصراف بالكلية إلى هذه الحياة فقط والتمتع بزهرتها والانحلال عن القيود الدينية
وإباحة جميع ما تشبه النفوس وإطلاق العنان لها . كما أطال في هذا الموضوع وردد
فيه الكلام الساقط ثم في مقابلة ذلك التجامل على كل ما يمارض هذا الطريق والتسليم
بالدين وحملته ، فإذا كان هذا هو الكمال عند هذا المنحرف لم يستغرب بعد هذا قدحه
في خير العالمين وسخريته من علومهم وأخلاقهم وأعمالهم وما هم عليه في جميع الأحوال
فصار منطبقاً عليه وعلى أمثاله غاية الانطباق قوله تعالى : (فلما جاءتهم رسلهم بالبينات
فرحوا بما عندهم من العلم وحق بهم ما كانوا به يستهزئون) ولهذا ارتكب العظام في
تحليله لحياة النبي صلى الله عليه وسلم وشخصيته الكريمة بكلام طويل فراد
كقوله كان يعبد الطبيعة وأنها قد أخذت بقلبه وقلبه ولبته وأنه كان يناجي الليل
والنهار والضياء والظلمة والنسيم ونحوها مما يشاهد ، وأنه افتتح رسالته بمناجاة الطبيعة
والخلوة بها في غار حراء ، وختم رسالته وحياته بشدة النزوع إليها وقت السياق حيث
كان يقول في الرفيق الأعلى . وهذا بعينه قد أخذه من دعاة التصاري المقتريين الذين لما
بهرهم ما جاءهم به محمد صلى الله عليه وسلم من الدين الحق والتعاليم العالية والرق الكامل
والفتوح الباهرة والآثار التي لم يحصل عشر معشارها لأحد من الخلق طفقوا يستهزئون
على الناس ويحللون حياته (ص) تحليل أحد رجال الطبيعة يعنى الذين لا يؤمنون بالله
وملائكته وعالم الغيب من الأرواح والجن بله التار الآخرة وما وراء الحسوسات
والملموسات فأخذ عنهم هذا المأخذ الجنيث وأنكر الوحي والرسالة بهذا التحليل . ويرى

النبي صلى الله عليه وسلم بأنه طبيعي لا يعرف الله ولا يعرف الوحي فلم ينزل عليه جبريل من عند الله ولا كان يناجي الله ولا يبده ، ولا كان عند السياق إلا مشتاقاً إلى الطبيعة فقط لأنه لا يعرف الله ولا يريده ولا يحبّه ولا يطلبه عند هذا الكاتب الذي تجرأ على ما لم تجرأ عليه من يتسمى بالإسلام من الملحدين . ولا تستغرب هذا غلبه فإنه سيأتي أنه صرح تصريحاً لا تردد فيه بالكفر بالأنبياء والرسل كلهم ، وصرح أنهم لم ينفعوا الخلق بوجه من الوجوه ، فمن كانت هذه وقاحتها وتصريحها فلا يستبعد عليه شيء . وظهر بهذا غرضه الوحيد وهو الإيعاز البليغة إلى نيل الدين وأصوله وممارسته بكل طريق . ومن فضل الله أن طريقته في كتابه قد عرفها الناس وعرفوا ما ترى إليه من النيات وعرفوا الأيدي المحركة لها ، وأخذهم العجب الكبير كيف صار هذا الرجل بعد سوابقه فريسة لأعداء الدين وآلة لهم صماء في طريق مآربهم ومقاصدهم فنسأل الله أن يهدينا وإخواننا المسلمين وأن لا يزيغ قلوبنا بعد الهداية . والقصود أن هذا الكاتب جمل الفضل كله في جانب الأجنب الكفار ، ولم يدركه أودى وتجاهل وهو الأحرى بمثل هذا الرجل . أن الفضل الحقيقي هو السعي في طرق الكمال والتخلق بكل خلق جميل والتزهد عن كل خلق رذيل وهو الفضل الذي يرق القلوب والأرواح ويوصل أهلها إلى أعلى النيات وأشرف السعادات الذي أصله وأسامه العقائد القلبية المؤسسة على الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره . ولا عمل القلبية التي مدارها على الإنابة إلى الله ، وانجذاب دواعي القلب كلها إلى الله رغبة ورهبة ومحبة وخوفاً ورجاء وقصدًا وطيباً وتمبداً وتألهماً وإخلاصاً صادقاً لله وحده لا شريك له . ثم القيام بالشرائع الظاهرة من إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت الحرام والجهاد في سبيل الله ، وما يتبع ذلك من القيام بحقوق الوالدين والأقارب والجيران والأصحاب والماملين وقضية الحقوق كلها بالعدل والإنصاف وعدم الظلم والجور على القريب والبعيد والمعصو والصديق ، وبذل الجهد في القيام بكل ما يعين المسلمين على أمر دينهم والاستعداد الكامل

للقاومة الأعداء والسعى في جمع كلمة المسلمين ومحبة الخير لهم وتحصيله بكل مقدور، فإذا كان هذا هو الفضل الحقيقي وهو كذلك، فقد علم كل من له أدنى تمييز أن للصحابة والتابعين لهم بإحسان من هذا أوفر الحظ والنصيب وأن الصحابة رضى الله عنهم فوق جميع طبقات الأمة في كل فضل وعلم وعمل، كما أن الأمة أكل الأمم في كل فضل وخير وأكل الأمم المنتسبة إلى الأديان فكيف بالأمم المنحلة المطلقين رب العالمين الذين انحلوا من عبادة الرحمن فمبدوا الطبيعة فتباً لمن آثرها بظاهره وباطنه على الله بئس للظالمين بدلا. وزعم هذا الكاتب أن التقيد بالإيمان بالله وبما أخبر الله به على السنة رسله قيد وغل يحول بين الإنسان وبين المطالب العالية النافعة ويقيده عن حرية الطبيعة التي هي الغاية عند أمثال هؤلاء، فيحق لمن كان هذا منتهى مراده وطلبه أن يكون أول من يدخل في قوله تعالى: «إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون» وفي قوله تعالى: «من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها» إلى آخر الآيات، ثم إن هؤلاء المنحرفين الملحدين الذين انخدع هذا الكاتب بدعائهم الخيثة يدعون إلى نبذ كل قديم واعتناق كل جديد، وقد أبدى هذا الكاتب في هذا وأعاد وكرر ذلك مریداً بهدم القديم هدم أصول الدين وقواعده كما تجده في صفحات (١٦) و (٣٧) و (٦٤) و (٦٩) و (٧٠) و (٩٦) و (١٦٠) و (٣٠٢) و (٣١١) من كتابه وغيرها من الصفحات. وهذه الدعاية الخيثة مقصودها الأعظم وأساسها الذي بنيت عليه رفض الشرائع والأديان والانحلال من قيود الدين وحله وتحريمه وجميع أحكامه والانحراط في سلك المطلقين رب العالمين المنحلين من جميع شرائع الدين وأول ما يدخلون في هذا الأصل الباطل رفض ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من أصول وأخلاق وأعمال وغيرها وتوصلوا بهذا إلى الطعن في خير المشرقة وإهدار أقوالهم وعقائدهم وعلومهم، بل وجميع محاسنهم والمحل على حملة الشريعة

وأمة الهدى ومصابيح الدجى كما أشرنا إلى الصفحات الموجودة فيها ذلك .
ثم إن هذا الكاتب بهرج على من لم يعرف الحقائق بالاستدلال بأحوال
المشركين من الصوفية والخرافيين ومن تسمى بالدين وهو منه يرى ، وأورد من
أهلهم وخزعاتهم ما يظن أنه يروج به باطله حيث نسبته إلى حملة الدين وهو يعلم
حق العلم أن الدين وأهله الذين هم أهله هم أيدي الناس عن هذه الخرافات وأعظم
النكبات ، وأهلهم يرون منها وينزهون الدين الإسلامي عنها ، فكيف لا يستحي
أن يستدل بأحوال ابن عربي وخرافات الشمراني وشطحات المتصوفة على الدين وأهله
من هذا القبيل القبح في الدين وحملة الدين ، وهو يعلم حتى العلم أن الإسلام يرى
من هذه الأمور والشطحات والخرافات ، فكيف لا يستحي من هذه البهجة
والتناقض ، أظن الناس كالبهايم المجمع التي لا تفهم شيئاً ، أم سحر عقله فصار يهذى بالباطل
وهو يعلم أنه صدره من النبل والإحاذ ، ألم يعلم أن الدين وأهله الذين هم أهله الذين عرفوا
الحقائق وميزوا بين الحق والباطل والمحقين والباطلين ينفون عنه انتساب كل مبطل
كما يقولون عن عقائده كل باطل ، وأن المبطل لا يروج أمره عليهم بمجرد انتسابه إلى
الدين ، فكيف انتسب إلى الدين من الزناقة والفسق والظلمة من هو شر من اليهود
والنصارى ، من أحوال من انتسب إلى الدين وأهله فهو من المذنبين المهرجين
وكذلك من أمتح بالآثار والحكايات الباطلة على الدين فهو مقتر كذاب كما فعل هذا
الكاتب وملاً كتابه من الخرافات والحكايات الباطلة ونسبها لأهل الدين ليتوصل
بذلك إلى القبح فيه وفي أهله ، والذين كما يظهر كل من له بصيرة أنه قد خالص حق
في أصوله وفي فروعه وفي أخلاقه وآفاده وسامع جميعها في غاية العلو والسمو والسكينة
العالية التي لا تشع جميع العقلاء أن يقدحوا أحسن منها أو ما يقارنها لمعجزات
الدين وقدرته من ذلك لأنه تنزيل من حكيم حميد لا يأتيه الباطل من بين يديه
(انتهى)

ولا من خلفه ويعرف هذا بتتبع أصوله وفروعه (ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم)
 أى يهدي لأصلح الأمور من العقائد والأخلاق والآداب والأعمال للأسباب وغيرها
 فليات هذا الكتاب أو غيره بمثله إن كانوا صادقين ، فإن الدين الإسلامى قد فصل
 الحقائق ، وبين المناهج الصحيحة والطرائق ، وميز بين الحق والباطل ، وبين
 الرحمن من أولياء الشيطان ، وبين الخير والشر ، وبين العلوم النافعة التى تنفع الخلق
 فى دينهم ودنياهم من العلوم الضارة التى هى بضد ذلك ، وهذا الرجل يدعى أن العلوم
 كلها نافعة وليس فيها شيء ضار بوجه من الوجوه ، والله يقول : (ويتعلمون ما يضرهم
 ولا ينفعهم) فالدين هو الميزان الذى توزن به الأقوال والأفعال ، ويعرف به الخير
 من الخيىث والنافع من الضار ، فنرفض من هؤلاء الملاحظة القديم ، وعنى به هذا
 الدين الحق فإنه فى حقيقة الأمر قد رفض جميع الحقائق الثابتة ورفض العلوم
 والأعمال النافعة . ففى أين لهذا النشء الحديث علوم نافعة وأعمال نافعة إلا من
 معين هذا الدين . من أين لهم أن يعرفوا رب العالمين بأسمائه وصفاته الذى هو أجل المعارف
 وأكبرها وأصلها ، ومن أين لهم أن يوجدوه ويؤمنوا به وبما جاءت به الرسل إلا من
 هذا الدين ، ومن أين لهم أن يقوموا بحقوقه وحقوق خلقه العادلة الفاضلة ، ومن
 أين تأتيمهم إلا من هذا الدين ، ومن أين لهم أن يهتدوا للأخلاق الجميلة ويتزهدوا
 عن الأخلاق الرذيلة إلا من هذا الدين . ومن أين لهم أن يعرفوا الصراط المستقيم المحتوى
 على الحق علماً وعملاً إلا من هذا الدين القويم ، ومن أين لهم معرفة الشرائع والأحكام
 والحلال والحرام والمعقود والمهدود والشروط والحدود والمواثيق وتوابعها إلا من هذا الدين ،
 ومن أين لهم الطريق الذى أدركوا به تعلم الصناعات وأنواع الفنون والمخترعات
 النافعة إلا بعد أن نشر هذا الدين ظله على الخلق فأشرقت على الأرض أنواره فاقبلس
 من هذا النور كل أهل علم نافع فى الدين والدنيا كل أحد بحسب مشربه ، فإن
 الدين هو الذى أسس أصول الصناعات وقواعدها النافعة ، وأمر بها حيث يكون

فيها مصلحة للدين ومنافع للناس كافة كما قدمت الآية الكريمة : (واعدوا لهم ما استطعتم من قوة) الآية وقوله : (واخذوا حذركم) ، وقوله : (وانزلنا الحديد فيه بأمر من ربنا) وقوله : (واضع للناس) وامتد على الإنسان بأن علمه لم يعلم من جميع العلوم والفنون والنافعة ، فهذه علوم الشريعة على وجه التنبية والاعتصار كما ترى أهل حق علم نافع الإدخل فيها وهل بقيت معارف يحتاج الخلق إليها في أمور دينهم وديارهم إلا احتوى عليها وهل من جهة وسيلة وسبب وطريق من الطرق النافعة إلا واشتمل عليها . فإذا قلنا هؤلاء الملحدون القديم وعنوا به دين الإسلام فقد رفضوا جميع الأمور النافعة فليسوا بحق ما يسمى بؤسسون عليه علومهم وأعمالهم ، فهؤلاء الذين يذمون القديم ومؤلف كتاب الاغلال حامل رأيهم مرادهم بذلك التوصل إلى رفض الدين الإسلامي بل صرحوا بمرادهم ، ومع ذلك فهم كذبة يتناقضون في هذا الإطلاق فليهم يذهبون إلى قديم أرسطو وأفلاطون والفارابي وابن سينا ونحوهم من ملاحدة الاولين والآخرين فهؤلاء وإن كان لهم مهارة في علوم للمادة المحضة فإن كلامهم في الدين وأصوله انهم الكبار من كلام أدنى طلبة العلم الديني كما هو معروف من أحوالهم ، ومن أراد الوقوف على جهل هؤلاء الذين عظمهم هذا الكاتب فلينظر إلى ما قاله ابن أبي عمير وأقوال أئمة الإسلام ولينظر إلى كتب شيخ الإسلام ابن تيمية خصوصاً العقل والنقل الذي وضع به البراهين العقلية فضلاً عن النقلية جهلهم البالغ ومعارفهم الضئيلة في أصول الدين وضلالهم العظيم فيها وإنما الذي رفع شأنهم عند أتباعهم معرفتهم في علوم الطبيعة الذي يشترك فيه البر والفاجر ، فهؤلاء وأمثالهم يقسمهم هذا الكاتب على ما جاءت به الرسل وقدمهم بلا خوف ولا خجل على ملجأ به محمد صلى الله عليه وسلم وما ذهب إليه الصحابة والتابعون وأئمة الدين والهدى والهدى يقول هذا منتهى وهذا حاسه بطلاناً وفساداً وجلاً وضلالاً ، بل مكارة وعناداً . وهذا الكاتب سلك في نصر مذهب الخبيث سلك الأعمى أي

الاجانب عن الدين يريد أعداءه ورافضيه الذى ليس الغرض منه إلا اضلال الخلق وهو كما ترى مناف للعقل والدين ، أما الدين فلا يمتري فيه أحد كما نهى عليه ، وأما العقل فإن العقل والدين متآزران لا يرد الدين بما ينافى العقل الصحيح ولا يمكن أن يردشى عقول مقطوع به يخالف الدين بوجه من الوجوه وقد أخبرناك بأن الدين قد نبه على الأخطاء النافعة كلها، وإن نهاية ما فعله المتأخرون هو ترقية الصناعات وتفريع الاختراعات والمهارة العظيمة فى أمور الطبيعة التى كانت أصولها بتناقلها الخلف عن السلف. ثم إن هذا الكاذب موه على الناس وزعم أن الذى أوصل هؤلاء المتفنيين فى العلوم العصرية والاختراعات نبذهم للدين وكل أحد يعلم أن نبذهم الدين لم يوصلهم إلى مصلحة دنيوية فضلاً عن المصالح الدينية وإنما الذين أوصلهم إلى الترقى فى هذه الفنون جدم البليغ واجتهادهم ومواصلتهم الليل مع النهار فى تعلمها وإدراكها وتفريرها وترقيتها ، وقد تقدم لك أن الدين الإسلامى يحث على تعلم كل نافع منها ويأمر بكل علم يمين الامة على مقاومة الاعمى ويوصلها إلى مصالحها فن استدل بتفوق الاجانب فى علوم المادة على صلاح دينهم وفساد دين غيرهم فهو من أجهل الخلق وأبندهم عن المعارف بالكيفية أو مفرغ مموه يقصد الترويج على من لم يعرف الحقائق كما هو دأب هذا الكاتب الذى يسعى فيه. ومن تمويهاته الخبيثة التى يريد بها مغاربة الدين وأهله أن يزعم أن المسلمين يبحثون على الفقر والبأساء والضراء وأنواع المصائب ويطلبونها ويسعون فى تحصيلها بكل طريق ، ويسخر منهم ومن ذكر الأدلة من الكتاب والسنة الدالة على فضيلة الصبر على الفقر والأمراض وأنواع المصائب كما صرح بذلك فى صفحات (١٢٦) و (١٤٠) و (٣١٩) وكذلك جميع النصوص الدالة على ذلك من الكتاب والسنة وهذا من باب قلب الحقائق فإن ذلك من أعظم محاسن الدين الإسلامى حيث أرشد أهله إلى التربية العالية التى هى أنفع التربيات وأجلها وأكثرها آثاراً حميدة فقد تكاثرت نصوص الكتاب والسنة فى فضل الصبر على المصائب والأمراض وأنواع المحن التى لا بد للخلق كلها

منها في هذه الدار وذكر فضائل الصابرين وطلب لهم من عند الله من الثواب وذلك
 ليصلوا أنفسهم على تقلبات هذه الحياة الدنيا من غنى إلى فقر ، ومن يسر إلى عسر ،
 ومن بأساء وضراء إلى خير وسراء ، ومن عافية إلى مريض ويعلمهم كيف يتلقون هذه
 الأمور الملازمة للبشر في أطوار حياتهم فهي من ضرورات الحياة والوجود ، وأمرهم
 أن يتلقوا النعم والخيرات بالشكر والاعتراف بنعمة المنعم وصرها في الأمور النافعة في
 أمر الدين والدنيا وعدم الطغيان والبطر فيها ، وأن يتلقوا المكروه والمصائب بالصبر
 والاحتساب والرضى بما منّ المولى والرجاء لثوابها العاجل والآجل ، فهم يتقبلون في
 أحوالهم كلها بسورين منتبطين إن أصابهم سراء شكروا وقاموا بحق النعم وصرفوها
 فيما يعود عليهم بالنفع عاجلاً وآجلاً وإن أصابهم الضراء صبروا وتضرعوا فهم أقوى
 الخلق وأجلهم عند المصيبات والمكروه التي لا يسلم منها بر ولا فاجر بل كثير منهم
 يتلقونها بالرضى والطمأنينة والشجاعة التامة وعدم الكراهة حيث تخور عزائم النحرفين
 عن الدين عند المصائب ويجري لهم من التسخطات والجزع والحلع والآلام القلبية
 والزلازل الروحية والفظائع والفتجائع التي قد توصلهم إلى الانتحار الذي يرهق على
 ضعف النفوس وخورها وأنه بلغ منها المكروه مبلغاً لا يقصّر معه على الحياة ،
 فمقارن بين هذه الحال الفظيعة وحالة المسلمين القاعين بوظائف دينهم تجد الفرق العظيم
 بين النفوس والهمم القوية من الميمنة ، ويشهد بذلك قوله تعالى : « إن الإنسان خلق
 هلوغاً إذا مسه الشر جزوعاً وإذا مسه الخير منوعاً إلا المصلين » . وقوله تعالى « ولئن
 أذقنا الإنسان منا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليؤثوس كفور ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء
 ممته ليقولن ذهب السيئات عني إنه لفرح فخور إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات
 أولئك لهم مغفرة وأجر كبير » . وتعرف بذلك أن النصوص التي فيها فضائل الفقر
 والفقراء والأمراض والمصائب المتنوعة والحث على الصبر والمرض وبيان ما في ذلك من
 الثواب لقصد حث النفوس على مقابلتها خير مقابلة ، وإن ذلك من محاسن دين الإسلام

حيث يحوه هذا الكاتب أن يقل أهل العلم وهداة الأمة هذه النصوص تدل على سوء حال المسلمين وأنهم بذلك يسمعون ويطلبون هذه الأمور بجدهم. وهذا من التوجه النشيط يصل إليه أحد من الأجانب ، فأين دعواه أنه ينصر الدين وهو من أكبر الممارين له ولقد علم كل أحد أن هذه النصوص قصد بها تربية المسلمين على مجاهدة هذه الشهوات بصدور منسريحة ونفوس مطمئنة ، وكل عارف بدين الإسلام يعرف أنه يأمر بالأخذ بجميع أسباب الصحة من تدبير الأعذية والنوم والنظافة الإيمانية والحركة الرياضية ونظافة الأبدان والثياب والفرش والمساكن وغيرها حيث يدعى هذا الكاتب عكس ذلك فليأتنا بمثال واحد ونص واحد من الدين يدل على ما قاله من زيمه الدين وأهله بالندس والوسخ والأخلاق والآداب المزرية فيا وبحه ما أعظم جرأته ، وكذلك هذا الدين يحث على التداوى إذا وقعت الآلام ويحرم الشارع أنه ما من داء إلا وله شفاء ودواء علمه من علمه وجهله من جهله لئلا يخلدوا إلى الكسل عن مداواة بعض الآلام ويظنون أنه لا دواء لها فإنهم إذا علموا أن لها دواء جثوا في تعلمه وطلبه ، وكذلك المسلمون يسمعون في دفع مضرات الفقر والأجراض والبلايا ويسألون الله العافية منها فهم يدافعون أقدار الله المكروهة شرفاً وطبعاً بأقداره المأمور بها شرعاً وطبعاً وليسوا كما رماهم به هذا الكاتب أنهم يسمعون لتحصيلها فهم أصبر الخلق على المصائب وأعظمهم سعيًا في جميع الأسباب النافعات وليسوا كمن صرف جميع هممه في السلامة من الأمراض البدنية والفقر ولا يبالي بدفع الأمراض الروحية التي هي أشد فتكاً وأعظم هلاكاً وأدوم شقاء وهي أمراض القلوب ، ولا في دفع الفقر الحقيقي وهو الإفلاس من الباقيات الصالحات كما يدعوا إليه هذا الرجل ويحث عليه في كتابه ويحث على صرف الهمة كلها للوسائل ويتردد ويشتط عن المقاصد النافعة التي لا تنفع الوسائل بدونها ، فهل ينفع إصلاح الأبدان فقط مع فساد القلوب ؟ وهل يفيد إصلاح الدنيا فقط مع تخريب الآخرة ؟ فالآخرة والعمل لها ليس عند هذا الكاتب لها ذكر ولا خبر

ربه وتعلق قلبه التام بربه الذى جاءت به النكتب ودعت اليه الرسل وتنافس فى بيله
أرباب الصدق والإخلاص وأولوا الألباب فسبّاقه مع غيره نافياً له متهمكاً ساخراً بعباد
الله المخلصين هازئاً بالأخيار المفتقرين الى الله خالقهم الغنى الحميد وهو فى الحقيقة المسخور
منه المبتلى ببلوى يسألون الله منها العافية وهذه السخرية فى الحقيقة والتكذيب موجه
الى روح الدين فإن روح الدين هو التواضع والذل التام لرب العالمين ورؤية العبد
افتقاره الحقيقى إلى ربه واضطراره إليه فى جلب مصالحه ودفع مضاره وأنه لا يملك لنفسه
نفعاً ولا ضرراً بوجه من الوجوه وأن تمام عبوديته إلى ربه أن يلجأ إليه ويضرع
إليه فى جميع شئونه ويعلم أنه فى غاية العجز والضعف عن القيام التام بفعل الأوامر
 واجتناب النواهي وعن القيام بجميع الوسائل النافعة وأنه وإن لم يُعنه ربه لم يتم له أمر
 فالمسبحون يعلمون أن افتقارهم إلى ربهم لا ينافى قيامهم بالأسباب النافعة كما أن القيام
بالأسباب لا ينافى الافتقار إلى الله تعالى بل كل واحد من الأمرين يمد الآخر فكما
ازداد العبد افتقاراً إلى ربه والتجاء إليه جاءه من معونة ربه وتيسير أموره ما لا يحصل
له بدون ذلك وكما قام بالأسباب مستعيناً بالله أمدّه بإطاعته وتوفيقه ، فهذا البكاتب عظم
أو جعل افتقار المسلمين إلى ربهم يوجب الضعف والكسل وموت الهمم وصورة بهذه
الصورة الشنيعة ثم طفق يحط على خيار المؤمنين ويرميهم بضعف الرأى والهمة والعقل
ولم يعلم المسكين أنه ينادى على نفسه بسفاهة العقل وقلة الإدراك إذ كان هذا ظنه وإن
كان الأمر غير ذلك فهو يبرهن على خداعه وبهرجته وتصويره حالة المسلمين بحالة شنعاء
ليتوسل إلى القدح فيهم وفى ذينهم عند من لا يعرف الحقائق ويح هذا الرجل إذا
أنكر روح الدين ومقوماته وأصوله العظيمة التى لا تستقيم جميع الأمور إلا بها فإذا
يعترف به وإذا ذم الافتقار إلى الله والرجاء له فى كل الأحوال والاعتراف بأنه هو الميسر
للأمر السهل للصعاب الذى ما بالعباد من نعمة وخير وتوفيق فليس إلا منه ولا بآنى
بالحسنات إلا هو ولا يدفع السيئات إلا هو ، وهو الذى يحجب دعوات المضطرين ويرحم

ضعف المفتقرين ويجبر قلوب النكسرين لكلامه الطامع من كل الطمع في فضله ونواله إذا
 ذم هذا فأى شيء يحمد ويمدح أبحمد النفس الضعيفة المهينة العاجزة عن مصالحها إلا
 بإعانة ربها أو يثني على الطبيعة ويأمر بالافتقار إليها وصرف الهمم والقلوب إليها وهذا
 ما يدعو إليه فيا ويح ما أخسر صفته وبليت شعري ماذا يقول في أكمل الخلق في
 جميع الصفات الكاملة وشيد المتوكلين وقدة المفوضين وأعظم الخلق افتقاراً إلى ربه
 بكل معنى واعتبار حين يقول صلى الله عليه وسلم : اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى
 نفسي طرفه عين ولا إلى أحد من خلقك واصلح لي شأني كله ، اللهم إن تكلني إلى
 نفسي تكلني إلى ضعف وعورة وعجز وخطيئة وإني لا أثق إلا برحمتك فأرحني رحمة
 تغنيني بها عن رحمة من سواك . لا بد أن يقول أن هذه حالة ديمية صاحبها مهن ضعيف
 النفس كسلان كما صرح به حيث وجه الهم إلى السالكين المفتقرين إلى ربهم وحسبك
 بقول فساداً وبطلاناً وشناعة أن يبلغ هذا المبلغ . ولقد نعم كلامه في الافتقار إلى الله
 كلامه في التوكل حيث فسر التوكل بتفسير طويل مزود يرجع حاصله إلى أن معناه
 العلم بنظام التكوين وأنه لا يتغير ولا يمانه بممانع ولا يغير الله أسبابه بإيجاد أو تقوية
 أو زيادة أو نقص فأبطل التوكل من أصله ونفاه من أسسه ، والتوكل هو من أعظم أصول
 الدين وأعمال القلوب التي لا تتم شروطها إلا بالإيمان التام بالله تعالى والإيمان بقضائه
 وقدره وأنه تعالى هو المتصرف ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وأن الأمور كلها بيده
 وتحت تدبيره وأن نواصي العباد بيده تعالى وأن أرزاقهم وآجالهم وأعمالهم وجميع
 شؤونهم الجليلة والحقيرة منتظمة في قضائه وقدره وأن أفعالهم من طاعات ومعاص
 داخلية في مشيئته وقدره وأن الله جعل لهم الاختيار فيها ولم يحبرهم عليها فإذا علم العبد
 ذلك حق العلم اعتمد على ربه اعتماداً حقيقياً في جلب مصالحه وفي دفع مضاره الدينية
 والدنيوية وثم بتحقيق مطلوبه وإن الله كاف من توكل عليه فهذا التوكل الذي
 جاءت به الرسل وتزيت به الكتب واتفق عليه جميع أهل الملل والأديان الصحيحة

وهذا قد أبطل ذلك كله لأن من كان أسلمه نبي الإيمان والحث على نفيه وزعمه أنه لا تقوم الأسباب الا برفض الإيمان ومن كان مذهبه أن التديرات في العالم العلوى والسفلى كلها من تديرات الطبيعة ونظامها وتفاعلها وتطورها ومن كان يفهمه في الوحي ذلك التفسير الذى نهنا عليه ، ومن كان رأيه في الجزاء الديوى والأخروى ما أشرنا اليه ، ومن كان يدعو الى رفض القديم الذى هو كتاب الله وسنة نبيه ومن كان يأمر الناس بثقافة جديدة لمادية ينبذ فيها تعاليم الدين وأخلاقه كلها ، ومن صرح بالكفر بجميع الأنبياء تصريحاً لا يمتري فيه كما سيأتى ان شاء الله نص كلامه ومن كانت هذه الأصول الخبيثة وغيرها أصوله التى يبنى عليها فلا يستغرب عليه إنكاره للتوكل على الله وتكذيبه جميع نصوص الكتاب والسنة في معناه .

وكذلك من مباحث هذا الكتاب المنازعة التى بلغت فى الفظاعة ووصلت فى الخلاعة مبلغاً ما وصل إليه ولا تجرأ عليه أحذله أدنى عقل وبصيرة من الأولين والآخرين ما يبدية ويفيده ويكرره أن الإنسانية لا تزال فى تطورها ورفقها حتى تصل إلى الاتصاف بصفات الرب العظيم إن كان يثبت بلفظه فالإنسان بزعمه يمكنه أن يكون بكل شئ علماً وعلى كل شئ قديراً وأنه قد علم ما كان فى أول الموجودات وما يكون من آخرها وأنه علم مبدأ هذه الخليقة وخلف علوم الرسل خلف ظهره وهو يحاول علم ما سيكون فى هذا العالم بل علم مقدار ما بقى من عمر هذا العالم وقد علم حالة العالم السفلى وهو يحاول وسيدرك علم العالم العلوى وصنع الصور والأجسام وهو يحاول أن ينفخ فيها الروح فهو لا يستبعد إجماده للحيوان الصناعى والإنسان الصناعى غير مبال بتكذيبه لله ورسله فقد زعم أنه قد يتمكن أن يوجد الحيوانات، وزعم أن التفريق بين الخالق والمخلوق أكبر الأغلاط وأنه يجب أن لا يفرق بين الرب العظيم وبين الإنسان وأن من فرق بينهما فلجهل وضلاله وغلطه كما صرح بذلك فى هذه الصفحات من كتابه المذكور (٣٨) و (٥٨) و (٦٧) و (٧٠) و (٧٧) و (٧٨) و (٩٧)

فانظر كيف رمى بهذا الأمر الفظيع وهو تفصيله للمعوقين بين الله وبين خلقه كل رسول
 أرسله الله إلى الخلق وفي مقدمتهم محمد صلى الله عليه وسلم فضلا عن أمة الهدى
 ومصابيح الدجى فإن زبدته ما جاءت به الكتب السماوية والرسل العظام هو توحيد
 البارى واعتقاد انفراده بجميع معانى الكمال المطلق الذى لا تدركه العبارات ولا
 تتصوره الأفكار وأن جميع المخلوقات فى العالم العلوى والعالم السفلى لا يمكن بل
 يستحيل ومجتمع أن يساوا رب العالمين وأن يماثلوه فى صفة من صفاته ولا نفت من
 نعمته وأن أظهر القضايا الدينية والعقلية والفطرية هو التفريق بين الخالق والمخلوق فى
 كل الموت فالرب هو الخالق وما سواه مخلوق وهو الرزاق المديّر وما سواه مرزوق
 مديّر وهو الأول الذى ليس قبله شيء والآخى الذى ليس بعده شيء وأهلم بكل شيء
 والقدير على كل شيء والعزير بكل معانى العزة والحكيم الجامع لمعانى الحكمة والعظيم
 الذى له جميع صفات الكبرياء والعظمة إلى غير ذلك من نعمت جلاله وصفات كماله
 والمخلوق حادث بعد المدم له أول وآخر وهو ضعيف العلم ضعيف القدرة والله تعالى
 هو الذى أعطاه ما أعظم من علم وقدره فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم فأعظم الخلق
 وهم الرسل والملائكة قد اعترفوا أنه لا علم لهم إلا ما علمهم الله فمن سوى بين الله
 وبين خلقه فلا يقدروا أن يكون أعظم الخلق جهلا وضلالا واغترارا وإما أن يكون
 منكرا لرب العالمين جاحدا لمن كل وجه يريد أن يخادع ويمكر بإظهار الإيمان به ،
 فهذا الكاتب خادع ومخدوع بما رآه فى تفوق الأمم المتقدمين فى الصناعات والاختراعات
 والفنون المصرية وأنهم لما مهروا فى علوم المادة والطبيعة فلا بد أن يصلوا إلى العلوم
 التى لا يعلمها إلا الله ويقدرها على ما ليس فى وسع الخلق وطاقتهم القدرة عليه إن
 جاز أن يظن هذا الظن ، فليعلم إن كان لم يعلم أن الله تعالى خلق الإنسان فى هيئة
 وحكمة قابلة للمعرفة فى العلوم والأعمال التى هى فى طوره وطاقته وأمدد بالعقل والفكر
 وإرشادات الرسل ومن سلك سبيلهم فى عبادة الخلق وهما له الأسباب التى توصله

إلى أعلى ما يمكن الوصول إليه من الأطوار البشرية وجعل له حداً ينتهي إليه ويتهذر عليه مجاوزته جملة يترقى في أشرف العلوم وهو علم التوحيد والعقائد والأخلاق والأحكام وفي علوم السياسة وتدير الأمم وطبقات الناس وسخر له هذا الكون يستخرج آثاره ويستمد بقواه على صنائعه ومخترعاته فحصل للناس في هذه الأمور إرشاداً إلى حيث هي لهم كل على حسب مشربه أما الرسل وورثتهم من العلماء الربانيين والأئمة المصلحين الهادين المهديين فشرّبوا من العلوم الدينية وتغذوا بالمعارف الزاكية المصلحة للقلوب والأرواح المرقية لها إلى أعلى الدرجات وأكل السعادات وكلوا ذلك بمقام الأحكام ومعرفة الحلال والحرام وعلوم المقامات والحقوق المتنوعة بين الناس على كمال العدل والقسط والصالح والإصلاح ومعرفة الفنون السياسية وجميع العلوم المعنية على الدين المصلحة للأحوال الخالصة للمنافع الدافعة للمضار حتى صاروا هادين مهتدين بهم يهتدى المهتدون بإرشادهم يقتدى الصالحون فلم يصل لأحد علم ولا معرفة ولا خير إلا على أيديهم وبهدايتهم وعلومهم ومعارفهم توزن العلوم والمعارف وبأخلاقهم وأعمالهم يتبين الصالح من الفاسد فيلقوا شأواً وطريقاً يصل إلى قريب منها أحد من الأولين والآخرين وصار الواحد من أتباع الرسل وأئمة الهدى لو قيس به جميع من بعدهم هذا الكاتب ويخضع لمعارفهم وأحوالهم من أئمة الملاحدة إلى عشرين معشار ما أوتيته من القوة العلمية فضلاً عما يترتب على ذلك من أحوال القلوب والإنابة إلى الله تعالى وكل من له معرفة يشهد بذلك والكاتب اعترف به وشهد به حيث ترجم لشيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه الصراع ترجمة حافلة وفضله على جميع العلماء وأنه بزم بسمة علمه وقوة إرشاده وسعة إطلاعه ومهارته المجيبة لا فرعون المسلمين منهم والباطلين ولكنه كنسب نفسه وتناقض في هب هذا الكتاب وبمه السكين أنى يؤفك ويصرف عن الحق . وأما في هذا الوقت الأخير فقد جدت في الأفريقية والأمريكية ومن تبعهم واجتهدت في الفنون المعاصرة وصرفت لها أوقاتها

وراحتها وأقيات عليها إقبالا عظيما فبلغت هذا المبلغ الذي لم يصل إليه أحد وهي جادة في السير إلى تكميل قوتها وتستصل بحسب ما يرى إلى ما تصل إليه قواها ومداركها. وأما كون معارفهم لا تنتهي لها وأعمالهم لا حد لها وأنها ستراحم رب العالمين وستعلم كل شيء وتقدر كل شيء فهذا أمر يعرف بطلانه ببداية القول نعم هي قد توصلت من علوم المادة الأرضية والحيوية وتستخير القوى الباطنية إلى أمور لا يمكن إنكارها أما كونها تصل إلى عالم السموات والعالم العلوي وعلم ما كان وما سيكون مما لا سبيل لها إليه بوجه من الوجوه أو أنها ستتمكن من إيجاد الحيوانات ونفخ الروح فيها فهذا ممتنع في القول الصحيح كما أنه ممتنع في الشريعة فإن الله تفرد بقبولها لا يعلمها نبي مرسل ولا ملك مقرب فضلا عن غيرهم وتفرد تعالى بأنه هو الذي يميت ويحيي لا يشاركه في ذلك مشارك من أهل السماء وأهل الأرض، فهذا يقال على سبيل التحدي لأبي مخلوق يكون: قد صنع هؤلاء المحترمون وأهل المهارة في علوم المادة الصور والصنائع الدهشة فهل في إمكانهم إيجاد بموضة أو غيرها أو يردوا الروح إذا بلغت الحلقوم إلى موضعها ويقال لهم قد أوجست المراكب البرية والبحرية والهوائية وسخروا مادة الكهرباء حيث يريدون ويشاؤون وفعلوا كذا وكذا مما هو داخل في قدرة الإنسان وحلوا المناصر البكبار والصغار فهل في إمكانهم أن يوجدوا أصغر مخلوق وهل لهم طريق إلى العلوم الغيبية التي انفرد الله بملئها فهل عندهم علم متى يحيى المات ومتى يموت الصحيح وما مقدار عمره وماذا يكسب الخلق في مستقبلهم على سبيل العلم الحازم. ونهاية ما عندهم التكهنات والتخمينات بحسب ما يشاهد من الأسباب وهل لهم سبيل إلى العلم بأحوال البرزخ والآخرة مما أخبرت به الرسل وكيفية ما فيها. وعند هذا الكتاب أن الإنسان لا يتعذر على علمه ولا على قدرته شيء فتأمل هذا القول الذي لم يصل إليه أحد من العقلاء ولا الحق. وفي كتابه في مواضع متعددة اعتراف بافتراده عن الناس بكثير مما ذكرناه ونذكره منه من الأقوال الباطلة وأنه أدرك ما لم يدركه

الرسول وأتباعهم، وهذا مع ما فيه من العجب والاعتقار البليغ والكذب الصراح اعتراف بالشذوذ ومخالفة العقلاء كلهم وهذا من التجري والافتراء بمكان سحيق فالمشركون واليهود والنصارى لم يجرؤا على ما يقارب هذا القول وقد اتفق جميع المثبتين للخالق من أهل الأديان وغيرها أن الخلق لا يمكن أن يساوى الخالق بوجه من الوجوه ونهاية ما بلغ شرك المشركين أنهم جعلوا لهم آلهة يزعمون أنها يعمل لها من العبودية ما يستحق الله مع اعترافهم أنها مخلوق عاجزة ناقصة وأنهم ما عبدوهم إلا ليقربوهم الى الله زلفاً لمن صرح بمقالة يتحاشى ويتزهد عنها اليهود والنصارى والمشركون. وأما قصود هؤلاء التأخرين في علوم التوحيد والدين مع مهابتهم في فنون الطبيعة فهذا من آيات الله وبراهين قدرته أن تجد أناساً في غاية الذكاء والبراعة وقد أدركوا من العلوم والفنون المصرية ما عجز عند الأولون وحار فيه الآخرون ثم هم مع هذه البراعة والذكاء المفرط في هذه الأشياء تجدهم في غاية الجهل والقصور العظيم والضلال البعيد عن العلم بالله وتوحيده وما يستحقه من العظمة والجلال وتجدهم يشاهدون من خوارق علم الإنسان ما تخبرهم به الرسل عن الله وأخباره وغيوبه وأحوال الجزاء وهم مقيمون على الكفر والتكذيب أفيقدرة الإنسان يؤمنون وبقدرة الملك العظيم يكفرون؟ فهم هؤلاء برعوا في أمور خاصة ضئيلة بالنسبة الى العلوم النافعة والمطالب العالية التي لا سعادة للخلق ولا فلاح لهم الا بها وعموا عن المقاصد فبذلك يعلم أن الأمر أمر الله والقضاء قضاؤه وإن اعجاب الإنسان بنفسه وتيهه بمعارفه الضئيلة أكبر حجاب بينه وبين الله وأنه ان تخلى عنه طرفة عين هلك وشقى .

ومن فروع غلوه في الطبيعة أن ادعى وكابر وكذب ما جاءت به الرسل وأخبر الله به في كتابه ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم عن آدم أبي البشر وزوجه وعبدوهما ابليس وما قص الله من أنبيائهم فتجراً هذا الرجل وترك ما أخبرت به الرسل والكاتب السماوية وسلك مسلك ملاحدة الطباثمين الذين نظروا نظرية خرافية تسمى نظرية

دارون الإنكليزي ما لها تسلسل الإنسان عن القرد والقرد عن كلب أو حيوان دونه وهكذا خطأهم فيها قومهم فضلا عن الرسل وأتباعهم حيث زعم أن الإنسان الأول في طولها شبهة بالحيوان أو هو الحيوان وأنه بقى مدداً طويلة ملايين أو ملايين الملايين حساباً جزافاً لا ينطق ولا يحسن الخطاب ولا يرد الجواب وإنما يتناغثون ويتصايحون تصايح الأجنة في أول وضعهم من بطون أمهاتهم وأنهم مكثوا تلك المسدد العظيمة وهم على هذا الوصف ثم أنهم ارتقوا عن هذا الانحطاط فتمكنوا من الإشارات وصار بعضهم يشير إلى بعض من غير أن يهتدوا إلى نطق ثم مكثوا ماشاء الطبيعة— إلا ماشاء الله عليهم حتى ترقوا فصاروا يتمكنون من النطق فلم يصلوا إلى هذا الطور حتى مضت عليهم أحقاب بعد أحقاب وهذا مع ما فيه من تكذيب جميع الكتب والرسل فإنه أختب التخرصات وأبعدها عن الحقائق فأى طريق دلهم على هذا التخرص الباطل وأى سند أوصلهم إلى هذه الجراءة ولكن يأبى الله تعالى إلا أن يفضح الناذين لدينه المكذبين له ورسله تركوا علوم الرسل والحقائق القيمة وتبعوا التخرصات وما خرصوه وتخرصوه في الحفريات وما يحدونه من جث بعض الحيوانات فبعداً لمن اختار هذه الخرافات والخزعبلات على ما جاءت به الرسل ونزلت به الكتب وويل للكافرين من عذاب شديد الذين يكذبون الله ورسله ويؤمنون بكل شيطان مرید .

ثم انظر إلى البعث الأخير من كتابه الذى عنوانه (المشكلة التى لم تحل) فى صفحة (٣١٥) وما بعدها إلى آخر كتابه كيف أتى فيه بالطامات واللفظائع وأنكر المنكرات وكيف حاول وصرح بأن الإيمان بالله وإثبات وجوده وزبويته وأفعاله من أشكال المشكلات وهى أضل الأمور وأوضحها وأجلها براهين ثم صرح بهدم الجراءة التى ما وصل إليها أحد من البشر إلا فرعون وأشباهه الذين أنكروا رب العالمين وجحدوه بالكلية . وقد صرح أن الأولين والآخرين لم يحلوا هذه المشكلة فجميع الكتب المنزلة من الله فى التوراة والإنجيل والزبور والقرآن وجميع ما قالته الرسل عموماً

وقاله سيدهم وإمامهم خصوصاً وجميع العلماء الربانيين والهداة المهتدين والحبكماء والأساطين الجميع عنده لم يعرفوا الإيمان بالله ولم يحلوا هذه المشكلة التي زعمها ففقت عند هؤلاء مشكلة الإيمان في غاية الإشكال والتعقيد عندهذا الكاتب فيا زعمه بأعظم هذه الطامة وما أشنع هذه الجرامة على الله وعلى رسله وكتبه وعلى جميع أهل العلم كنهية طاوخته نفسه على هذه الطامة الكبرى وكيف لم يكن له عقل يحجزه ويردعه عن هذه الشناعة التي صار بها مضرب الثل في الإلحاد الجنوني والزندقة المظننة سبحانه الله العظيم وصدق رسوله النبي الكريم هذا الدين العظيم الذي وضع الحقائق الأصولية والفروعية وعلوم الباطن والظاهر والعلوم المتعلقة برب العالمين والمتعلقة بالخلق والخلق بين كل شيء وإوضح كل شيء وهذا الرسول الكريم الذي هو أعلم الخلق على الإطلاق وأكملهم في جميع المعاني والصفات إذا قصر هذا الدين وهذا الرسول عن بيان هذا الأصل الذي هو أصل الأصول والأساس الأكبر لأمر الدنيا والآخرة فأى شيء بين ووضح وإلى أى شيء هدى وأرشد وإذا لم يحل ما زعمه هذا المقتري مشكلاً فأى مشكل حله وأى علم أبانه ووضحه . لقد كان هذا الدين على زعم هذا الكاتب من أعظم النكبات على البشر نقول على زعمه على وجه الإلزام وقد صرح بذلك في مواضع من كتابه وعلى زعمه ما زاد الناس هذا الدين الكامل ولا الرسول العظيم الاتسار ولا أوقعهم الا في أعظم الضرر فسبحان الله وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً . هذا الأصل الكبير قد وضحه الله في كتابه ووضحه رسوله توضيحاً حتى بلغ من وضوحه ان كان أظهر من الشمس في رابعة النهار وأبلغ من جميع المسائل كلها فلا يوجد في الدنيا أى مسألة الا وكان بيان هذا الأصل أعظم من بيانه وبراهينه وأدلتها أكبر من براهينها وأدلتها . لقد كاد الكتاب والسنة أن يكونا تأصيلاً وتفصيلاً لهذا الأصل العظيم وأما البراهين العقلية والفطرية فكلها متفقة على الاعتراف بالله حتى المشركون الذين يجعلون معه مخلوقات يدعونها ويصرفون لها شيئاً من العبادة محترفون أن الله هو

الخالق الرازق المبدى لجميع الأمور ، وقد قالت الرسل أئى الله شك . وقد عظمت هذه المسألة أن يبين فيها كما قيل :

وليس يصح فى الأفهام شئ . إذا احتاج النهار إلى دليل . وهذا القترى بمد المحاوله والمجادلة وترديد الكلام والمندى الذى لاحصل له زعم أنه انفراد بحلها فاستنتج بمقله الجنون وجرأته العظيمة أن خلها الوحيد هو أن ينبذ الناس الإيمان ودماء ظهورهم ويكونوا معاقين للطبيعة منسلخين من الدين والشرعة بالسكليه وأنهم إذا فعلوا ذلك فقد سخطوا هذا اللز المقعد ، وإن بقى عليهم بقايا من الإيمان فإنهم فى قيود وأغلال قد تسدو عليهم النهوض والرق . فيأويحه أن قوله أنه مؤمن بالله وبكل ما أخبر به ، وهل بلغ أحد من اللحدين هذه الهاوية السحيقة . قد وضح كل الوضوح وزال الإشكال أن هذا الرجل مخادع قد سلك نهجاً جديداً فى النجاية الإلهادية . أتى على جميع الأديان من أصلها ليزيلها ويقلمها . فهو بهذه النجاية قد تصدى لمحاربة الأديان السماوية كلها بالرسالة السكينية التى أضحت قرينة اللحدين إذا لم يثبت أصل الإيمان فأى شئ يثبت ، وإذا لم يؤمن بالله فأى شئ يؤمن (فأى حديث بسد الله وآياته يؤمنون) فن وصلت به الحال إلى هذا الحد من الجحد لم يبق السكلام معه فائدة لأن الكلام المباحث تربه إظهار الأشياء فينكرها .

زعم هذا الكاتب أن إيمان المتدينين بمنهم من مباشرة الأسباب . وإن يأسروها فعمل وجه ضيف . هذا حاصل المعنى الذى طول فيه الكلام وردده واستنتج منه أنه يتحتم على الناس رفض الإيمان بالله وأقذاره حتى يخرجوا من غلهم وحبسهم وينطلقوا بحسبهم . لقد صدق هذا الكاتب فى أن الإيمان بحسب لهم ، ولكن عن التهلكة فى الأخلاق الرذيلة وعن الانغماس فى الفجور والفواحش الظاهرة والباطنة وقيد لهم عن التبحر على الظلم للخلق فى دنائهم وأموالهم وأعراضهم وجميع حقوقهم ، وأن أهله لا يمكن أن يكونوا إباحين ما وأبوا متمسكين به ، لكن بتركوا وأعراضهم عنه تجعل عنهم

القيود الشرعية فيصيروا كالبهائم وتكون أمورهم فوضى ، وهذا ما أراد هذا الكاتب وهو يعلم حق العلم أن هذه الثمرات الجليلة من أعظم محاسن الدين وأجل ثمراته ولكنه يسعى أحت السعى لقطعها (ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون) فبهذا الرجل لم يسلك مسلك الخذاق من الملحدين الذين يوهون بأشياء تروج على كثير من الناس ، ولكنه جاء إلى أظهر الأشياء وأجلاها وأوضحها فأنكره غاية الإنكار وكابر فيه أعظم مكابرة . زعم أن الإيمان بالله يضمف القوى ويوهن العزائم ؛ والحال أنه لا تقوم القوى كلها ولا تنهض إلا بالإيمان بالله فانه لا حول ولا قوة إلا بالله فكل حول وقوة مستمدة من حول الله وقوته ، والعميد إذا وكل إلى نفسه فقد وكل إلى ضعفه وعجزه ونقص من جميع الوجوه فالمؤمنون بالله حقاً أقوى الخلق قلوباً وأبلغهم شجاعة وأصبرهم على المكاره وأثبتهم في المواطن الحرجة لإيمانهم الكامل بالله ورجائهم لثوابه وخوفهم من عقابه . فالإيمان هو مادة كل خير وكل صلاح وإصلاح وبه تندفع شرور الدنيا والآخرة . ثم مع ذلك الترويج والجحد للإيمان بالله يباهت فيزعم أن أهل الدين لا يمكنهم فهمه على وجهه . فعلى قوله لم يفهمه الصحابة والتابعون لهم باحسان ولا العلماء الربانيون ولا سائر أهل العلم من المسلمين وحيث لم يفهموه عنده يتعين عليهم رفضه والأخذ بطريقة الملحدين فأين الإيمان والإسلام الذي يدعيه هذا الرجل . ويزعم أنه ينار على المسلمين وهو متنصد لمجازبتهم ومحاربة دينهم ، وأين العقل الذي يبق على صاحبه ويجعله متماسكاً بين الناس فإن هذا تمهور واستهتار ومناداة على عقله بالسفه والجنون (ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه) وهو مع هذا يبدى وينيد في الاستهزاء بشرائع الدين وبأهله وحملته على وجه الوقاحة كدأب الحق والجائين فالؤمن يحمد الله على العافية من هذه البلية العظمى والمصيبة الكبرى ويسأل الله أن لا يزيع قلبه ولا يجعله مثله بين الخلق ، وأن لا يكون كمن آتاه الله آياته فانسخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين . ومن بهرجاب هذا الكاتب حين قرر أن المسلمين لا يفهمون دينهم ولا يمكنهم

فهمه على حقيقته استشهد على ذلك بما قصه عن الرازي والآمدى وابن أبى الحديد ،
وأمثالهم من الحائرين في معرفة الله وإن كان بعضهم قد تراجع عن حيرته . فزعم هذا
الكاتب أن المسلمين كذلك حائرون لا يهتمون إلى أصول دينهم ولم يعلم أو علم وبجاهل
أن هؤلاء الحيارى إنما حاروا في معرفة الله حين رفضوا علوم الدين في هذا الباب وتركوا
مادل عليه كتاب الله وسنة رسوله وأن خيرتهم في هذه الحال من أدل الدلائل على كمال
الدين وأن كل من اتقى الهدى من غيره أضله الله ، وهذه صفة لسكل من كذب بالحق
وتكلم لا بد أن يمرج أمره كما قال تعالى : (بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في أمر
مريج) فانظر إلى هذا الرجل كيف لما كذب بالحق وترك الإيمان بالله ورفضه ودعى
الناس إلى رفضه كيف تقلبت به الأحوال ولعبت به الأهواء ، وصار يتأذى ويدعو
إلى الإلحاد بعدما كان يدعو إلى دين رب العباد فالسلمون والله الحمد قد فهموا الإيمان
فهمًا كاملاً أعظم من فهم أى قضية كانت ، فهم أعظم الناس يقيناً وثبتهم إيماناً وأحسهم
اعتقاداً لأنهم آمنوا بالله وصدقوا المرسلين واستقاموا على الصراط المستقيم حيث عدل
غيرهم عن هذا الطريق .

ومن فروع نبذة الإيمان بالله وبما أخبر به على السنة رسله إنكار الملائكة والجن
والأرواح وسياقه لهذا الإنكار بأساليب تهكمية وعبارات سخريه بما أخبر الله به
وأخبرت به رسله ونطقت به الكتب واعترف به عليه الخلق وسائر أهل الأديان السماوية
وجاءت به نصوص الكتاب والسنة في نصوص كثيرة زادت على التواتر فأقر بها
المسلمون واعترفوا بها وبكل ما أخبر الله به ورسوله عن الملائكة والجن وعن أحوال
الروح في البرزخ وغيره ولم ينكر ذلك إلا جاحد ملحد مكذب لله ورسوله ، وقد تحاذق
هذا الرجل حين نصر قول من كذب بهذه الأصول العظيمة فجمع كل ما يقدر عليه
في كتابه من خرافات الخرافيين عن الجن والأرواح ونسب ذلك إلى المسلمين ليتوسل
به إلى القدح في الدين ظناً منه أنه يروج على الناس ، ثم لما قرر هذا التكذيب بعبارات

كثيرة في صفحة (٢٠٠) وما بعدها يعمد أن الناس لابد أن يقولوا هذا كلام مكذب
بالملائكة والجن والأرواح فقال نقاشاً : ليعلم بعد هذا أنما نحن يؤمنون بالأرواح
والملائكة والجان وبما أخبر الله به إلى آخر ما قال . فانظر إلى هذا النقص والهرجة
التي لا تحصى على من له أدنى عقل ، ولكن من غروره بنفسه يحسب أن الناس
كالبهايم . ومن كذب بالدبرات أمراً وتهكم بما يذكر في الكتاب والسنة ويذكره
أهل العلم من أنواع التدويرات في العالم العلوي والسفلي التي تتولاها الملائكة بأمر الله
لم يستغرب بعد ذلك تكذيبه بتأثير العين وتحريف النصوص الواردة فيها وتفسيرها
بما لم يفسرها به مسلم بل ولا عاقل ، ومن كانت هذه الأصول عنده ترهات وخيالات
لم تستغرب عليه ما نصره من سفور النساء وإجابه لمخاطبتن الرجال الأجاب في جميع
المجامع الصغار والكبار وأنه ليس للرجال عليهن درجة ولا لهم فضل عليهن وأن هذا
السفور والتهتك يزعمه هو عين الصلاح ، وأنه لا يمكن إصلاحهن وثقافتهن وتعليمهن
إلا بهذه الطريقة السافلة ، وأن خيار المسلمين من القرون الماضية من الصحابة والتابعين
ومن تمسك بهديهم إلى اليوم من خيار المسلمين أن هؤلاء كلهم ممن أولهم إلى أنقرهم
من الجهلة المصح حيث صانوا نساءهم عن التبرج والتهتك . ثم باهت في ذلك ناقلًا
مستحسنًا أن الشر الحاصل من النساء المصونات المحفوظات بحفظ الله ثم بحفظ أوليائهن
أهل الغيرة على الدين وشرائمه أعظم من الشر الحاصل من النساء المتهتكات المرائعات
للرجال في جميع ميادين الحياة . ثم نقله القبيح واستحسنه في هذا الموضوع كلام
السافطين من الإباضيين الذين لا يرون شيئاً حراماً خبيثاً بل ما اشتبه الإنسان فعله
ولا قبيح عندهم إلا ما لم تشتهه النفوس كما نقله في صفحة (١٠٣) وما بعدها مما يوضح
هذا ، ماذا ترك للفضائل الدينية والآداب الدينية والصيانة الإنسانية لقد رفضها كلها ،
وهذه الطريقة التي استحسناها هي الطريقة الوحيدة للإباحة بإباحة جميع ما حرم الله من
الشرك والفواحش والنفكرات . إذا تقررت هذه المباحة الخبيثة والنافية للدين من

كل وجه الدالة على انحراف عقل صاحبها عنه انحراف دينه فلا تستغرب بعد هذا رده وتكذيبه للإمام الشرعية وتحريفه لنصوص الكتاب والسنة وترويضه بجمع الأخاديت الصحيحة مع آثار باطلة فيرد الجميع وتفسير التصويص بغير تفاسير المسلمين نصرة لباطله وإنما هي من جنس تحريفات القرامطة الباطنية ، ولنذكر نموذجاً يسيراً من هذا النوع ليعرف بذلك المراد بهذا الرجل فمن ذلك قوله في قوله تعالى : (وفي أنفسكم أفلا تبصرون) ذكر في صفحة (٤٤) أن معناها أن الله نهي عن المسلمين اليهود وقت زول القرآن وبعثهم كيف لا يبصرون ، ما في أنفسهم من الآيات وأن الصحابة والقرون الفضلة ومن بعدهم من علماء المسلمين انطوت قلوبهم ، والعتاب موجه إليهم واللوم يقرعهم لكونهم لم يبصروا ما في أنفسهم من الاستعداد لاستخراج كنوزها ولا لاستخراج كنوز الأرض حتى جاء هذا الوقت فأنطقت عليهم هذه الآية (وكانوا أحق بها وأهلها) لمكونهم العلمين بها حيث عني عنها الأولون وعلموها حيث جهلها السابقون فهذا التطبيق تحريف لم يسبقه إليه أحد من المسلمين ولا ممن يدعى الإسلام ومعناه الجلى عند هذا أن ملاجدة الأمم أكل وأفضل وأعظم عملاً بهذه الآية من السابقين من الصحابة والتابعين لهم بإحسان إلى آخر الوقت . سبحانه ! هذا بهتان عظيم . ومن تحريفه الحديث : ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به إلى آخر الحديث . قال في صفحة (٤٥) إن الحديث يدل على أن العبد غير مقيد وأنه لا يعتنع على قدرته شيء وأنه لا حديقف عنده عمله وقدرته . زله على ذلك البحث الخبيث السابق أن العبد في إمكانه مزاحمة رب العالمين هذا الإلحاد والتحريف لكلام الله وكلام رسوله لم يقل أحداً يشبهه إلا الملاحدة من أهل وحدة الوجود ومعنى الحديث معروف والله الخد بين المسلمين أن ذلك يدل على تسودد الله وثوفاقه ومعنى الآية الخاصة لمبته القلأم محجوباً به من الفرائض والنوافل . ومن ذلك (٤٦)

ما قاله على قوله تعالى (ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم) في صفحة (٦١) محتجاً بها على قوله الباطل حيث زعم أن علم الإنسان محيط بمبادئ خلق هذا العالم فإنه يزعم أن الآية لا تنفي العلم حيث قال ما أشهدتهم ولم يقل ما أعلمتهم وزعم أنهم كانوا عالين وإن لم يكونوا مشاهدين ، وهذا لم يقله أحد من المفسرين . أما تفسيرها المعروف عند المسلمين فهو أن الله أنكر على الكافرين به المكذبين لرسله الذين زعموا أن أحداً من المخلوقين يستحق من العبادة والخضوع ما يستحقه الله فكذبهم الله وأخبر أن جميع المخلوق ليس لهم مشاركة لله بوجه من الوجوه فلم يشهدهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وهذا نفى لطرق العلم كلها بمعنى فليس لهم سبيل إلى ذلك فإنهم إذا لم يشهدوا ذلك فهم لم يملوه وإذا لم يملوه فشهادتهم ودعواهم لاستحقاقها العبادة دعوى في غاية البطلاق والتقول على الله تعالى وهى نظير قوله تعالى (وما كنت بجانب الغربي) الآيات . ومن تحريفاته التى تقشع منها الجلود ما ذكر في صفحة (٦١) و (٦٧) على قوله تعالى (يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون) أن المراد بذلك القرن الذى أنزل عليهم وأوائل هذه الأمة القرون المفضلة من الضعابة والتابعين لهم بإحسان وأن معناها أن علومهم لم تصل إلى بواطن الأشياء وإنما علمهم بسيط جداً وأنهم في ذلك الوقت في طور الطفولية بل في طور قريب من طور الحيوانات ولم يبلغوا رشدهم وإنما الذين بلغوا رشدهم عنده ملاحدة هذا الزمان الذين علموا من علوم المسادة ما لم يعلمه الأولون لأن العلوم النافعة عنده هى الفنون العصرية فقط ، وأما الأصول والمقائد وعلوم الأخلاق وتوابعها التى علم الطبيعة فرع من فروعها فإنها على قول هذا ليست من العلوم التى يؤبه لها وكفى به خذلاناً أن تصل به الحال إلى هذا والآية والله الحمد واضحة لا إشكال فيها وأن هذا وصف للكافرين المكذبين لمحمد صلى الله عليه وسلم أخبر تعالى أن علومهم ظاهرة يعلمون ظاهراً الحياة الدنيا دون باطنها وأنهم في غفلة عن الآخرة فهذا السبب الذى أوجب لهم رد ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم

وإلا فلو علموا ظاهرها وباطنها المقصود منها لبادروا إلى الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم كما فعله أهل العلم الحقيقي الذين بادروا لما رأوا الآيات البينات إلى الإيمان به لكن هذا الرجل يطبق هذه الآية على خيار الخلق وأكل القرون على الإطلاق ويسخر من العالمين بباطن الدنيا المستعدين للآخرة القائمين بعبودية الله الجاعلين الدنيا وسيلة إلى الدين ، وهو يريد ويحاول في كتابه هذا أن تكون الدنيا هي المقصودة والغرض الأصلي وأما الآخرة فإن كتابه هذا كفيلاً بتزويد الناس فيها وفي عبودية الله وفي الجزاء الآخرى ؛ فأى إيمان وأى إسلام وأى عقل صحيح يبق بعد هذا ، ومن ذلك تفسيره لحديث « كل مولود يولد على الفطرة » بأن الفطرة هي الخبث والشر ، وأن الإنسان بطبعه خلق شريراً وإن الفطرة معناها أنه مقطوع على الشر ويرفض جهاراً تفسير أئمة الهدى لهذا الحديث بأن معناه هو أن الله فطر عباده على قبول الخير علماً وعملاً وأن الله تعالى جعل في خلقهم استعداداً تاماً لقبوله نعمة منه وفضلاً كما قال تعالى (فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون منيبين إليه) الآية ويلزم على قوله أن يستدرك على النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه فيقال وأيضا لم يأت أو يمجسانه مسلماً لأن قبوله للجميع على حد سواء عند هذا ، وفي نفس الحديث والآية السكرية حيث قال كالبهيمة الجماء هل تحبسون فيها من جدعاء حتى تكونوا أنتم تجدعونها أى كالبهيمة التي تولد مجتمعة الخلق كاملة الأعضاء حتى يجدها الناس بقطع الأذان أو بعض الأعضاء كذلك الآدمي خلقه الله مقطوعاً على الاستعداد لمعرفة الحق وقبوله فلو ترك وفطرته ولم يعرض له ما يغيرها من التربية السيئة لما اختار غير الدين الحق وعبد هذا أن الفطرة معناها الشر والهمجية وهذا مناف للآية والحديث ، ومن أعظم الجراة جراته على قوله تعالى في صفحة (٦٦) (وترام ينظرون إليك وهم لا يبصرون) قال بمعنى بذلك الدين اجتمعوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وآمنوا به من

الضخامة الذين هم خيار الخلق وأعلمهم بخلقهم هذا الرجل ينظرون الظواهر ولا يبصرون
البواطن فهم في طور الأطفال كما تقدم التنبيه على هذا مراراً ، وهذا من جنس تفاسير
الزنادقة من الباطنية والاسماعيلية والقرامطة والآية الكريمة عند جميع المسلمين منها
ظاهر ، وأن هذا وصف للكافرين بالرسول أو وصف للأصنام فعنها : أن الكفار
تراهم ينظرون إليك نظراً ظاهراً وهم لا يبصرون ما فيك من المعاني الجليلة والأوصاف
الجليلة والآيات التي تدل أكبر دلالة أنك رسول الله حقاً ؛ أو أن هذه الأصنام صور
بلا أرواح تراها كأنها تنظر إليك وهي لا تبصر لأنها مجادات . ومن ذلك حق الروايات
عن النبي صلى الله عليه وسلم الحديث الذي في مسند البزار أكثر أهل الجنة البله .
فزعم أنهم بذلك يمدحون البلاهة ويحثون عليها ، وجمع في هذا خرافات الخرافيين
ونسبها لحمة الشريعة ورجال الدين وكذب الحديث المذكور وتفسير الحديث ظاهر عند
المسلمين : فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقل أهل الجنة البله ؛ أو لا يستحق الجنة إلا البله بل
قال أكثر أهل الجنة البله فهم لسلامتهم من الغل والحقد والصفات التيمية طاروا مستحقين
للجنة ثلاثين الناس أن أمثال هؤلاء أن الله لا يرفع قدرهم ؛ مع أن في كتاب الله قوله
رسوله من الشاء على أهل العقول وأولى الأبواب . والأحلام والنهي والآراء الرزينة والحق
على كل أمر فيه زيادة اللب والعقل فكم في كتاب الله وسنة رسوله من ذلك من
النصوص ما يدل على ذلك فلا منافاة بين الأمرين ؛ فالدين يحث على التمسك في تشكيل
العقول ويشي غاية الشاء على أولى الأبواب ويخبر أنهم خواص الخلق ومع ذلك فكل
من آمن وعمل صالحاً ولو لم يصل إلى درجتهم من البله الأغمار فإنهم سعداء فإن الله
لا يضيع أجر من أحسن عملاً .

ومن المعجائب تزيله الحروب الحاضرة بين الأمم الأفريقية والأمريكية وتواجههم
على قوله تعالى (كتب عليكم القتال وهو كره لكم) فجعلها المراد من الآية وقد أجمع
المسلمون على أن المراد قتال المسلمين للكفار فهو المكتوب المفروض وهو الذي له الآثار

الطيبة ، وأما هذه الحروب التي بنيت على البغض والظلم والقسوة وعدم الرحمة فأبغض
 حينها وأتارها الطيبة وقد عمت البسيطة هلاكاً وفناءً وتدميراً وهي لا تسكن في
 وقتها إلا بالاعتداد لمجازر وشروير ينسى آخرها أولها ، فيلوح من الحد في آيات الله .
 ومن تحريفاته لحديث أنس أنه صلى الله عليه وسلم كان يطوف على فسائه بفلس واحد .
 قال في صفحة (١٢٠) أن ذلك مجرد دواء لا مسبب معه . وهم بأنس وغيره ممن
 يفسرون ذلك بالسبب الذي هو معنى الحديث عند جميع المسلمين حتى جاء هذا الرجل
 فاسكر عليهم وكتبهم وهذا اليوم الكاذب منشأه أنه ميراث ممن ورثوا القدر
 في الأنبياء بكثرة الأزواج ، فأبزل الله منكرًا ومكذبًا لهم قوله تعالى : (ولقد أرسلنا
 رسلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذرية) الآية وأى نقص في كثرة أزواجه وفي
 قيامه التام بمقوقه وذلك من أجل مناقبه حيث كل الحقوق الكثيرة التي عليه
 وحيث كان في زواجه من النافع والمصالح للأمة ما لا يمد ولا يحصى . ومن جرأته
 العظيمات ذكره في صفحة (١٢١) وما بعدها من الصفحات من تكذيبه لجميع النصوص
 الواردة في الزهد في الدنيا والصبر على البلاء والفقر وهي جزء كبير من أجزاء الدين
 كذب ذلك أجمع وباهت بأمر يعرف كذبه به كل أحد ، ثم روج كعادته القبيحة
 في ذكر أحاديث لا زمام لها ولا خطام حشدها في كتابه وتوسل بها إلى رد النصوص
 الصحيحة . ورضي جميع المسلمين من أولهم إلى آخرهم بقبول تلك الآثار الساقطة ،
 وتقدمت الإشارة إلى محاسن هذا الدين وأنه يحث على جميع الوسائل والمقاصد
 وإصلاح الدين وما يعين عليه من الدنيا بعكس ما كان يسعى إليه هذا الكاتب يحض
 في الزهد في الآخرة بل يسخر بأهلها العاملين وبما يذكر من الجزاء الدنيوي
 والأخروي . ومن انحرافاته الفظيعة ما نقله قميصاً عن التوراة ليس في التوراة بل
 في الأمثال المنسوبة لسليمان عليه السلام في الترغيب في الدنيا ثم قابل بينه وبين ما جاء
 في القرآن والدين الإسلامي في صفحة (١٢٢) وما بعدها وعلمت القرآن والسكت

الدينية حيث علقت السعادة والفوز والفلاح في العاجلة والآجلة على العبادة والتقوى والصالح وفضل ما نسب إلى التوراة في هذا الموضوع على الكتاب والسنة تفضيلاً عظيماً بل لم يجعل لهذا الأخير فضلاً بوجه من الوجوه بل حمل على هذه النصوص وزعم أنها هي التي خدعت هم الناس وتببطهم ومنعتهم من الرق وفيه كالتصريح بإنكار عقوبات الله للدينية والأخروية . ومن ذلك في صفحة (٢٩٦) تهكمه بحديث أنس : « لا يأتي عليكم زمان إلا والذي بعده شر منه » وهو في الصحيح صحيح البخاري وتهكم به وبتقلته وأنكره إنكاراً عظيماً والسبب في ذلك أصله الحديث حيث فضل ملاحدة الزنادقة من الأولين والآخرين على الصحابة وخير القرون ، وعرف أن هذا الحديث من الأدلة الكثيرة الدالة على كذبه وبطلان قوله . وزعم أن اعتقاد فضيلة الأولين من الصحابة والتابعين منعت الرق فهذه الدعاية لبند الدين التي يسعى لها هذا الرجل سعيًا حثيثاً ويوصل أصولاً خبيثة يرد لأجلها الأصول الشرعية فهذا في كتابه نهج لهذه الدعاية الإلحادية دعايات كثيرة تارة بتحريفه لنصوص الكتاب والسنة وتارة بالقدح في الصحابة والتابعين وحملة الدين من خير القرون الذين لم يصل للناس هذا الدين إلا على أيديهم وقد أكثر فيه من الاستهزاء والسخرية العظيمة حتى كادت جميع مباحثه المنحرفة تكون سخرية واستهزاء وتهكما بالدين والشريعة وحملة الدين . فهنا يقف العاقل وقفة تعجب فيقول : هل ترى هذه السخريات والتهكمات الصادرة من هذا الرجل الحامل عليها الإعجاب العظيم بالنفس واحتقار غيره فإنه لا يستغرب فإن الخيالات متى استحكمت في النفوس تجسمت وصارت لها السيطرة على عقل الإنسان وعدم الإبقاء منه على مكانته بين الناس فلا يستغرب هذا أن ذكاه وفطنته اضمحلت في ضمن هذه السيطرة حتى تلاشت فلم يكن له إحساس بما يبصر منه وأنه وصلت به الحال إلى ما يشبه الجنون وعدم الشعور فإن الذين معهم همكة من العقل المبعثى دع العقل الديني يبقون على أنفسهم وعلى مكانتهم عند الناس

وفي قلوب من يعظمهم فلا يرضى أحدهم أن تكونت السخرية والاستهزاء ديدنه
 في الأمور العادية ~~فلا~~ عن أن توجه إلى دين الله وإلى رسله وأتباعهم . ولكن يأتي
 الله إلا أن يفضح من تعرض لدينه وشرعه وأوليائه في الدنيا والآخرة . وإذا كان
 من جملة مقالاته الشنيعة الفاضحة ما صرح به في صفحة (٣١٧) بقوله الصريح :
 (إن المتدينين على اختلاف ديارهم وأزمانهم وأنياسهم وأمزجتهم وأجناسهم عجزوا أن
 ينهوا الحياة شيئاً جديداً وأن يكونوا فيها مخلوقات متألقة) ، فهل بعد هذا التصريح
 بمقتل الديانات السماوية كلها والكفر بجميع الأنبياء وتحقيرهم وتفضيل غيرهم عليهم شيء وهل
 وراء هذا التقديم ~~للكفر~~ غاية ونهاية ، وكلّم في كتابه هذا من هذا النوع شيء كثير .
 ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب .
 (واعلم) أن عباراته في هذه المواضع التي نهينا عليها كثيرة مكررة بمبارات متنوعة
 لم ننقلها خوف طول الكلام لتغير فائدة ولكننا آتيناهم بقرائنها . وأرشدنا لمن يحب
 الوقوف عليها إلى صفحاتها من كتابه الأغلال المطبوع . وكذلك في رسالتنا هذه
 لم نذكر من ذكر الآيات والأحاديث الرادة لقوله . لأن الكتاب والسنة كلها رد
 لقوله لأنه في جميع أصول الكتاب والسنة وأزاد قلعها من أساسها ولأن المقام يقتضى
 ذلك فإن المناظرة مع من يعظم الكتاب والسنة نوع ومع من لا يراها نوع آخر .
 ومحمد الله على ما بيننا عليه في كتابه من الفطاح والشنايع التي لا يقولها إلا من انتهى
 إلى حده وكفره لم نستعمل معه في خطابه الخاص إلا الرفق واللين اتباعاً للكتاب والسنة
 في خطاب المحاربين النحرفين أن يقال قال فلان وفعل فلان . وأما عند ذكر الأقوال
 الشنيعة فيذكر ما احتوت عليه من الضرر ~~والناقص~~ للأديان ومرتبها في البعد من
 الدين وبيان ما على قائلها من الضلال والنقص فيكون القدح فيه موجه عليه من أقواله
~~مسيئين~~ ما على صاحبها من نقص الدين والعقل والرأى وليس لنا غرض في شخصية
 هذا الرجل ولكن لما اعتدى على ديننا الإسلامي وعلى قواعده وأصوله وأساسه ونهزم

به وبحملته وفضل عليهم زنادقة الملحدين وصنع مع المسلمين أعظم من صنيع دعاء
النصارى من المبشرين وجب على كل مسلم مدافعتة ودفع شره وقسسه أمره والتحذير
من طريقته ودعايته بحسب القدرة وإلا فوالله اننا لنأسف أشد الأسف على انقلاب
هذا الرجل ونعد ذلك من الخسائر علينا حيث فقدنا هذا الرجل الذي مضى له من
المقامات ونصر الحق ما لا يشكره بل لنا أن نقول قول الله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ
عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَأْمٍ) ونسأل الله أن يرزقنا
إلى الحق وأن يعيده إلى الإسلام بالتوبة والتنصل مما وقع منه وأن يكتب كتاباً في
رجوعه عن هذه المباحث الخبيثة ، ونسأل الله تعالى أن يثبتنا على دينه ، وأن لا يرفع
قلوبنا بعد إذ هدانا ويهب لنا من لدنه رحمة إنه هو الوهاب وصلى الله على محمد وعلى
آله وصحبه وسلم .

قال ذلك وكتبه الفقير إلى الله عبد الرحمن بن ناصر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن
حزق في ٣ من ربيع الآخر سنة ١٣٦٦ ونقله من خط الشيخ عبد الرحمن بن سمدي .
أنا الفقير إلى الله تعالى عبد الله بن محمد الموهلي وحزق في ١٢ من جمادى الأولى سنة ١٣٦٦
بلغ مقابلة علي يد شيخنا الشيخ عبد الرحمن بن سمدي في ١٣ من جمادى الأولى
سنة ١٣٦٦ .